برنبال

اسم الرواية: **برنبال**

اسم المؤلف: **علا عمر عبد المعز**

تدقيق لغوي: **شيماء عز الدين**

تصميم الغلاف: **عبد الرحمن محمد**

إخراج داخلي: **ساندي شريف إبراهيم**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/٢٣١٩**

الترقيم الدولي : **٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٠٩٩**

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.

وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

إبهار
للنشر و التوزيع

E-mail: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

علا عمر عبدالمعز

برنبال

إبهار
للنشر و التوزيع

إهداء

لكل من ظن بي خيراً ووثق بنجاحي ..لكل من لديه حلم ويحلم أن يصل به إلى النور.. ها أنا فعلت وأتمنى لك نجاحًا أضعاف نجاحي .. هيا قم وأصنع ذاتك .

لأهلي ولكل من دعمني لتوأمي ومعيدتي الجميلة "أعتماد" لكل أبطال روايتي العظماء أتمنى أن تكون النهاية مُرضية لكم جميعاً..

"دائمًا أشعر وكأن السماء تخُصني، و بأن هُناك حياة هانئة تختبئ خلف هذه الغيمات"

آن شيرلي

البداية

القاهرة ١٩٩٧

في بيت يمتاز بالبساطة تسكنه امرأة ضحت بكل ما تملك لتسكن فيه مع زوجها الذي بدالها الحب أيامًا ولكن الحب ليس كافيًا دائمًا ليكون الزواج سعيدًا.. أتت اختبارات القدر لتكون خلافًا بين الزوج وزوجته ويطول الخلاف حتى ينتزع ذلك الحب من قلب أحد المحبوبين فيظل طرفًا منهما معلقًا تمامًا لا قادرًا على التخلي ولا التقرب، حتى مكانته العادية لم يعد بإمكانه الرجوع إليها...!

***

حينما كنت في الحادية عشر من عُمري رجعت إلى منزلي كنت قد أُنكهت من اللعب مع صديقاتي خارجًا، فتحت باب المنزل وفوجئت بأبي جالسًا بجانب امرأة ليست بالفتاة الشابة ولا بالسيدة العجوز بدت

وكأنها في العقد الثالث أو في بداية الأربعينات من عُمرها تضحك ووالدي يضحك، لم أعتد حينها علي ضيوف من هذا القبيل حتىٰ وإن كانت زائرة فأي أدب هو ذا الذي جعلها تضحك هكذا؟! سرت باتجاههم ورأسي يكاد ينفجر من الأسئلة إلى إن التفت لي والدي قائلًا:

-تعالى يا منى جانبي وألقي التحية على والدتك.

-والدتي!! وتحية!!تعجبت من كلامه.

-ضحك رغمًا عنه قائلًا:

تعالي يا منى، ونظر للسيدة ثم قال: تمتلك عناد أمها

-أبي! أمي بالداخل هل أفقدك الخمر صوابك؟!

ولكنه لم يجب إلا بصفعة على وجهي حينها شعرت بأن الدنيا قد ضاقت عليّ .

كان خالد يقول لأمي دائمًا إن أبي سيفقد صوابه بسبب الخمر ولم أقل سوى ما سمعته فلما ضربني؟!

أسرعت السيدة التي كانت بجانبه إلي وأمسكت بيد والدي وقالت:

-عزيزي!! أنها طفلة، لا تفهم ما تقول.

-ولكنك سمعت ما قالت!! أجاب منعفلًا

-لكنها لا تفقه الحديث، يبدو أنها تناقلته بلا فهم.

-لذا سأعاقبها!!

-وإن قلت لك من أجلي!! يبدو أنك تريد أن تدمر مزاجنا وننزعج في أول

يوم لزفافنا؟

-بالتأكيد لا..تعالي يا حبيبتي فلقد جهزت غرفة تليق بنا ثم أخذها وانصرف رامقني بنظرة تهديد ما عرفتها منه إلا ذلك اليوم.

***

لم يكن أبي بالزوج المضحي ولا بالأب الحنون كل ما يهمه هو نفسه والخمر، أعتقد بأنه سيجن ويرتكب جريمة إذا لم يجد قنينته بالبيت، حينها جلست القرفصاء وشعرت برغبة عارمة في البكاء، أبكي على حالي وحال والدتي وأخي لطالما حلُمت ببيت جميل ترسمه يداي، تلونه أمي، جدرانه أخي وبابه المتين أبي، بيت كأي طفلة في سني ولكني حرمت من كل تلك الأحلام، دخل خالد في تلك الساعة وضمني إليه ثم أبتسم لي ابتسامته المعتادة مشيرًا إلى غرفة أمي، دخلت إليها معه وما إن رأيتها حتى ارتميت في حضنها وسالت الدموع من عيناي... لم أعد اتحمل رؤيتها مريضة.

فقلت:

-هوني عليك ماما، ستشفي وتعودي أفضل مما كنت.

-نظرت إلي مستفهمة عن سبب الصوت العالي وإزعاجنا لأبي.

لم أشأ إخبارها بأنه تزوج ولكن في نفس ذات اللحظة وصلت ضحكة زوجته إلينا لتنظر إليَّ أمي وتقول هل عندنا زائره؟! لم أدري بما أجيب ولم يقُل خالد شيئًا، ولكني قررت إخبارها ففي النهاية ستعرف.

-أمي..تعلمين أن أبي أخطأ ليس في حقوقنا فقط ولكن في حقك أيضًا!!

-ماذا تقصدين؟! هل أهانني أمامكم مجددًا؟ تسألت

-أمي لقد تزوج أبي امرأة غيرك وهىٰ الآن في غرفته!!

-نظرت أمي في وجهي وأعلم حينها أنها فعلت لترى من خلال عيناي هل أنا صادقة أما لا؟!.. لطالما رأت الجواب في عيني.

ولكنه كان واضحًا جدًا فقالت مازحة:

-ولما لا؟! تعلمون أني مريضة ويحتاج والدكم من يساعده أخبرني ذلك عدة مرات وها هو اليوم ينفذ كلامه، كما أنه ليس مخطئًا فله الحق في الزواج إذا لم أستطع تلبيه حاجاته وزوجته بالتأكيد ستخفف عنكم التعب وعمل البيت، أصبحتم الآن كبارًا ولابد ألا تزعجوه..والآن اتركوني أرتاح قليلًا.

أكاد أجزِّم أنها كانت تقتل مع كل صوت يصدر من زوجة أبي، فمهما كانت المرأة وكيف كانت حالتها لا تتحمل أن يشاركها أحدًا فيما تملك وماذا إن كانت المشاركة الآن في زوجها؟!!

لم تكن أمي بالسيئة يومًا، لم تظلم أبي ولم تظلمنا نحن أيضًا، لذا أحبها الله وابتلاها بالمرض..

كانت دائمًا لطيفة حتى أنها أفرطت في ذلك على حساب نفسها فهانت في عينيّ أبي.. كان دائمًا ما يسبها ويلعنها ولكنها تكرر لا يهم!! المهم ألا يتركني..!

قرأت في أحد المرات ما كتبت ويبدو أنها كانت سعيدة..

"أتعلم يا أبا خالد اليوم أعددت لك شوربة اللحم والملوخية أعلم أنها وجبتك المفضلة وفرت من مصروف المنزل وزينته لكي أقيم عشاءٍ رومانسيًا لتتذكر أول أيام زواجنا تعبت كثيرًا في إعداده واتمنى أن يعجبك ثم كتبت في نهاية الصفحة..لم يتم ما تمنيته بسبب انكسار زجاجة الخمر خاصتك ليتك قدرت ذلك ولم تسبني ليتك طيبت خاطري هذه المرة واشعرتني أنني أعني لك شيء"

حينما نحب بصدق يصبح كل شيء قابلًا للإنكسار كل شئ !!

ومنذ أن علمت أمي بزواج أبي وهي لا تخرج من غرفتها كنا قبل الحين ندعو الله بأن يتم شفائها والآن اصحبنا ندعوه بأن يرحمها مما هي فيه وينقذنا. أحيانًا كنت لا أصدق قول :

إن للحالة النفسية للشخص تأثيرًا على حياته وكنت أُكذِّب الطبيب الذي يقول لفتاة أن سبب نزول وزنك بمعدل عالي وتساقط شعرك تعكر مزاجك،لا ..! اظن أنهم لا يفهمون ولكني رأيت ذلك بأم عينيّ في حالة أمي رأيتها وهنت شيئًا فشيء حتى شعرنا بأنها آخر أيام حياتها فنادت عليّ في أحد الليالي وطلبت مني ورقة وقلم..

أعطيتها إياهم ورأيتها كتبت شيئًا ثم وقعت ووضعته في ظرف بريد وطلبت مني أن أعطيه لساعي البريد لتوصيله وعليّ إغلاقه حينها أخذت الظرف وذهبت إلى غرفة خالد كان لم يأتِ من جامعته بعد..فلم أستطع

أن أمنع نفسي من فتحه وقراءة ما به فرأيتها كتبت:

والدي العزيز..

أعلم أنك الآن تمقتني بل لا تود سماع أسمي يُذكر، ولكني الآن عرفت!! سامحني يا أبي وأعذرني فلقد عمي الحب عيني وأخفقت باختياري عرفت معنى غضب الوالدين على ابنائهما، وعوقبت على ما فعلت، أبي لا تتركني لا تترك جثماني في أرض ومكان لم يحبني فيه سوى أبنائي، مكان جئت وبقيت فيه وحيدة! أخوتي تربينا معًا وتصارعنا معًا لكم ضمنا صدر أمي وضحكات أبي، أتذكرون أيامًا ضمتنا فيها غرفة واحدة لنحتفل بمناسبة سعيدة،"أخطأت حينما تركت الحُب الحقيقي من أجل آخر مزيف وعلمت أن جوهر الإنسان لايُعرف إلا بالمعاشرة، " أشعر أنني لم أتمكن من رؤيتكم ولكني أوصيكم أن تأخذوني جثة هامدة بجانب أمي لا أريد أن أبقى بعيدة أكثر من ذلك لاتتركوني لترتاح روحي" بكيت بحرقة حينها لا أعلم ماذا حدث لأمي ولما كتبت ذلك ؟! ولكني قررت أن أسالها في أحد المرات عما حدث ومن هؤلاء الأقارب الذين لا أعرفهم وحينها سمعت صوت أبي قد عاد فتركت الرسالة جانبًا وذهبت.

وبعد يومين تحديدًا شعرت أمي بضيق في التنفس ذهبت مسرعة إلى غرفة أبي استنجده لكي ينقذ أمي.. استنجده لكي ينقذ آخر أنفاسها ولكنه أغلق الباب قائلًا:

دعيها تستريح..سيطلب الطبيب علاجًا مثل كل مرة. عدت إلى امي

فوجدت روحها قد رحلت إلي السماء ..صرخت:

أمي !! أمي !!ردي عليَّ ارجوكِ لا تتركيني وحيدة أمي انظري إلي لن تموتي وتتركني ارجوكِ قولي شيئا .. ستتعافي ياأمي لن أسمح لك بتركي ارجوكِ أميبي ..وفي نفس اللحظة دق باب البيت لنعلم أن ضيوفًا قد جاءوا لم نراهم أنا وخالد من قبل لم أدري أهى مصادفة أم أن توقيت القدر جاء بهم في الوقت المناسب

فتحت الباب والدموع تنسكب علي وجهي أم رحلت وأب لا يبال، وخالد في امتحانه..

-أين حياة يا صغيره؟!

-تقصد أمي!! لقد رحلت إلى خالقها وتركت الباب وذهبت إلى غرفة أمي، دخل ورائي مسرعًا

وأمسك برأس أمي وظل يبكي وكأنه أخطأ في حقها، ثم نظر لوجه أبي قائلًا بأسى:

-كانت ابنتي تشعر بأنها لن تعيش يومًا سعيدة بسبب غضبي منها إلا أنها لم تكن تستحق ذلك. ثم قال لشخصين معه أحضرَا جثمان أختكم فلن تدفن هنا، تمنيت لو يرفض أبي أو يعترض ألا أنه قال:اتمنى أن تخبروني مكان مدفنها لكي يذهب الأولاد لزيارتها..!!

رمقة جدي نظرة إزدراء وغضب.وحينها جاء خالد باكيًا وبدأ كأنه علم من الجيران فدخل وضمها إلى صدره حتى أنه بكاها بكاءٍ لم أبكه

أنا..وبعد مدة من الوقت أخذ جدي أمي قائلًا:

- إن هذه وصيتها ورحل...

اعترضت أنا وخالد على ما قاله جدي إلا أن أبي قال:

-اتركوا جدكم يذهب فأخذ أمي وذهب..!

****

كيف ينسى المرء شخصًا أسعدَّه ولو للحظه؟! أنا لا أنسى أحدًا قدم إليّ معروفًا قط فكيف نسى ابي "أمي" بعد كل تلك السنوات؟!..

لم يشأ جدي أن يأخذنا معه وتركنا لأبي، لا أحد ينتبه لنا ولا لأفكارنا المثقوبة نتعايش أيامنا علها تمضي... بت جليسة غرفتي كل يوم أخرج لأتناول الطعام أنا وخالد فقط ثم ادخلها مرة أخرىٰ.. بدأ خالد يعمل أكثر من عمل حتىٰ يأتي بدخل ويأمن حياتنا لننتقل من هذا البيت الذي فقدنا فيه نجمة حياتنا.

وذات يوم وجدت أبي ينادي على بكل شدة وهو في قمة سعادته قائلًا:

-تعالي يا منى..!

فتحت الباب دخلت إلى غرفته وقولت:

-نعم يا أبي

-من الآن أمك لن تقوم بأي عمل في المنزل، وستتولين أنتِ باقِ الأعمال

أجاب متهللًا

-سألته متعجبة:ولكن لما؟!!

-تراجع خطوة للخلف وكان في غاية الضيق من سؤالي ولكنه أجاب: سيصبح لديك أخ بعد عدة شهور من الآن ولا أريد أي نقاش، اذهبي واعدي لنا بعض الطعام وانتبهي فهىٰ لا تحب الأكل الحاد..

دموعي بدأت في التساقط أغلقت الباب خلفي وذهبت متوسله إلى الله أن ينقذني وخالد من هذا البيت، لم استطع أن أرفض لأبي طلبًا فهذه وصية أمي،"يجب ألا نعصي والدنا في أي أمر كل ما يقوله مجاب بكلمة نعم من كلانا"

وعند عودة خالد وجدني في المطبخ جالسه والدموع على خدي فدخل مسرعًا وضمني إليه وقال لي:

-من أحزن لعبتي الصغيرة أخبرته بما سيحدث بعد مدة وأننا سوف نعيش معاناة فوق معاناتنا

فرتب على شعري وقال:

-حينها سأكون قد جمعت مالًا بما يكفي لكي نعيش في مكان جميل لا يوجد به سوى أنا وأختي الصغيرة والسعادة حولنا

كان كلما ذكر لي ذلك تملاني السعادة واتمنىٰ أن يحصل علىٰ أموال كثيرة لنغادر بعيدًا عن أبي وزوجته... لم أكن أدري أن زوجة أبي تتنصت على حديثنا وذات مرة كنا نجلس أنا وخالد في غرفة أمي رحمها الله ونحسب كم من المال نملك الآن؟ وفوجئنا بأبي يفتح الباب ويأخذ المال وهو يقول:

-أتودون أن تعيشوا مقابل ألالا شيء هذا المال من حقي؟!

حينها عرفت أن جميع أحلامنا تلاشت كبخار الماء في الهواء.

*****

لا شيء معنا الآن، جُردنا من كل شيء، ولن ننتقل لأي مكان كأن المعاناة والحزن قد كُتب علينا للأبد.. لم يكن لخالد مفر من أن يرضي بما حدث، فشل ذريع أحل بنا ولكن الفشل الأكبر حينما تلد زوجة أبي ستكون الصدمة مفجعة إن ولدت صبيًا، أما وإن ولدت بنتًا فستكون خيرًا ليست لهم فقط ولكن لنا جميعًا.

مرت الأشهر بسلام أحسست حينها أني لم أعد تلك الطفلة بل يبدو أنني كبرت كثيرًا، أزداد نضجي في أمور الحياة، فتاة في الحادية عشر تجيد الطبخ وعمل المنزل تهتم بزوجة أبيها وترعاها، تضع الطعام لأخيها وتساعده، تغسل الثياب، تنظم المنزل كل شيء تفعله، حتىٰ إن أبي حينما يعود من سهرته أنتظره لكي أضع له عشاءه، كما أنني أذاكر دروسي مثل سندريلا تمامًا ولكن الفرق الوحيد أن والدي على قيد الحياة ولدي أخ.. حقًا كم أنا فخورة بنفسي! أما خالد فقد أستمر في عمله يقدم كل جهده من أجلي، من أجل أن نبقىٰ معًا، ولكن في الحقيقة

"أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد"

لم يرد الله أن يبقىٰ خالد معي إلى الأبد وضعت زوجة أبي صبيًا..الجميع يفرح بالولد، فالولد يبقي زخرًا وسندًا، ولكني في هذه اللحظة لم أكن أريد

ولدًا فبسببه سيتركني خالد ويذهب إلى "الجيش"
ما زلت أحتاج إليه ولرعايته ولكن القدر لم يتبدل هذه المرة..قرر خالد أن يقدم أوراقه في نهاية الشهر التالي فهو موعد استلام الدفعة الجديدة ..
كنا نعيش بأمان تقريبًا رغم مرض أمي، فهىٰ كانت تضئ المنزل وتدفئه لا نشعر بتاتًا بابتعاد أبي عنا، ولكن حينما غادرتنا أمي أصبحنا في ظلمة تامة، لكم تحتاج حضنًا ترتمي فيه عند الوجع، لا تخشىٰ منه تقول له كل ما يخيفك، وجود الأم نعمة في كل منزل بعضنا لا يقدرها إلا حينما يفقدها، "أليست هىٰ جنة الله علي الأرض تمشى"
عشت معها عمرًا جميلًا وأعتقد أن أيامي السعيدة انتهت برحيلها.. لكم أنا مشئومة ألا أستطيع أن أنضج أمام عينيّ أمي؟!، لا أعترض على حكمة الله فلكل فقد تعويض ولكل كسر جبر، ولكل مصيبة قدر الله وما شاء فعل..!
'ولكني أفتقد أمي افتقدها كثيرًا'..

****

لم يشأ الله أن أدخل كلية الطب وأصبح طبيبًا مشهورًا ولكن الخير دومًا فيما أختاره الله ..حصلتُ على نسبة٨٥٪ وهذه النسبة تجعلني في المنتصف جرت الحيرة في ذهني أمام التنسيق ورغبتي، وجدت أمامي كلية التربية الكلية العظيمة التي سُحقت قيمتها في بلدنا العربي، وأُهين المعلم وبسبب تلك الإهانة أصبح التعليم في حالة يرثىٰ لها فحينما تكثر

الأعداد يقل الطلب وعدد المعلمين يزداد يومًا بعد يوم ولكن لا عمل لهم، كنت دومًا أحترم معلمي وأدين له بفضله علي، لن أنسى معلمًا وثق بي وشجعني فبفضلة وصلت ولولا المعلم لكنت كشجرة بلا ثمر ولا ورق، أعظم دور المعلم كثيرًا وأتمنىٰ لو أنال مثل أجره في تعليم كل فرد فكم هو عظيم جزاءه! ولكني أوِد أن أعمل وأمارس حياتي العملية والعلمية فقررت أن أدخل كلية الزراعة، هىٰ الكلية الأنسب فأنا سأجد حُلمي بها، كما أن أخي فيها عضو من أعضاء هيئة التدريس، وسيساعدني في فهمها والحصول علىٰ درجة عالية، ليس بواسطته وإنما بمجهودي، قررت أن أدخلها وكلي ثقة فيما يمنحه الله لي ..وشاء الله أن تمر الثلاث سنوات الأولىٰ بها بحصولي علىٰ تقدير امتياز كانت هذه فرحتي وفرحة أخي وفخر عمي وزوجته وسعادة نادين، كانت سعادتي بهم لا توصف، لم يعلم أحدًا أن أخي دكتورًا في أحد أقسام الجامعة ليس من عدم فخري به ولكني كنت أريد أن يكون تقديري من تعبي فلو علم أحدهم بذلك لجاملني علىٰ حساب أخي ، فقررت أن أمضي قدمًا لا أنتظر من أحدهم شيئًا ولكني سأحصل علي ما أريد إلىٰ أن جاءت السنة الأخيرة في الكلية وحينها تولىٰ أخي "االكنترول" وسيشرف على النتيجة فأخبر أخي عميد الكلية بأنه لا يريد فتعجب منه قائلًا:

-لما ترفض فرصة كهذه؟!

-بسبب أن أخي الأصغر طالبًا في الفرقة الرابعة وإذا توليت الأمر فستخرج

الشائعات بأن أخي حصل علىٰ درجاته باللعب والمراوغة .

-لديك أخ!! وفي الكلية هنا!

-نعم! أنه سليم الأول على كل الأقسام أنت تعرفه.

-هل سليم أخاك، كيف ذلك؟! كيف لم ألحظ أنه يحمل نفس كنيتك؟!

-لم يلحظ أحدًا ذلك، لذا أتمنى أن تجعلني مشرفًا على امتحانات الفرقة الأولى أو الثانية.

-ولكنك يمكن أن تخدمني في شيء، الطالبة سهام ابنة أخي أرفعها بما يكفي لتصبح الأولى على

قسمها وسأرسل لك أربعة طلاب تتولى أمر نتيجتهم وطالب واحد تجعله ينجح لا يهم درجاته ولكن المهم نجاحة، وكذلك يمكنك أن تضيف لأخيك كل ما تحب من درجات وتعلي تقديره، تعلم أنك لو قدمت لأحدهم خدمة اليوم فسيردها في الغد لا محالة.

-ماذا؟! تريد مني أن أغش في عملي!! لا أرغب بذلك ومن الآن أعتذر منك لن أستطيع العمل في الكنترول. كيف سأواجه نفسي حينما أظلم طالب على حساب طالبًا آخر، وممن أطلب العطاء من الناس أم من الله؟! لا أريد المساعدة في عمل كهذه، أعلم أمور المحسوبية والواسطة التي تعم المكان ولكني لن أكون جزءًا فيها!!

ثم أستأذن وأنصرف، لم يعبر العميد عن غضبه أمامه فكتمه وهو يتوعد له، ثم أمر بعمل اجتماع طارئ يوم السبت المقبل وتحدث فيه عن بعض

أمور الكلية وأخبر الجميع أن سليم يكون أخًا للدكتور يوسف، لذا فأنه لن يشرف على أمور "الكنترول" وظهور النتيجة هذه العام ..ومنذ ذلك الوقت وعرف الجميع أن سليم أخًا للدكتور يوسف.

***

توالت الأيام ..صوت الصغير يملئ المكان يعم أرجاء المنزل ويُحييها، لكم هو جميل رؤية طفل يضحك، براءته تُنسيك همومك، هل جربت ولو لمرة واحدة أن تأخذ أحد ألعابة من أمامه لتجده ينفر ويثور كأنما قد أخذت أحد أعضائه، ضحكة وفرحة تعم البيوت بسببهم حقًا هم أحباب الله، خالد أحبه كثيرًا، كان يحضر له ما يحتاجه من أغراض، حتى إن زوجة أبي تعجبت للطافته فهىٰ كانت تشعر أنه سيمقته أكثر لأنه سيرحل من المنزل بسببه، ولكنها لا تعلم كم هي رقة قلب خالد، أسمينا الصغير كريم ليكون كريمًا ورائعًا في حياته.

بعد غضون أيام سيذهب خالد ولن يوجد سوى ذلك الصغير الذي عندما أحمله أرى فيه خالد أعتقد بأنه سيعوضني غيابه قليلًا، جهز خالد حقيبته بعد أن تلقىٰ التدريب العسكري لمدة خمسة عشر يومًا ثم أنطلق لمقر القيادة لمعرفة المكان الذي سيقضي فيه مدته في حفظ الوطن.

*****

بينما الجميع يفكر في أموره الخاصة كنت أفكر في كيفية إمضاء حياتي بغياب خالد

ففي الصباح سيذهب إلى المقر، دخلت غرفتي وضممتُ قدماي إلى صدري أفكر بما؟ وكيف سيعاملني أبي وزوجته؟!

ونمت على تلك الحالة، لأجد نفسي في بيت جميل فيه من الأثاث مالم تراه عيني مُسبقًا، أشخاص ينظمون وفستاتين تكوي وخدم وحشم وزينة وثراء، أنظر هنا وهناك أنادي على تلك وذا ولكن لا أحد يسمعني، الكل يقول الأميرة برنبال ستفرح بما تراه ولكني لم أرى تلك الأميرة، بل رأيت نفسي أنزل من على درج كبير أشخاص يمسكون يدي ويجرون فستاني الطويل، كنت كأميرة في قصر كبير ظللت أنادي على نفسي فلم تراني غيرها فابتسمت لي!!! لأجد نفسي قد استيقظت من ذلك الحلم وأنا أردد برنبال. حمدت الله أنه حلم ولم يكن إلا كذلك فذهبت أجهز الفطور وودعنا خالد ومضي اليوم كسائر أيامي.

وفي اليوم التالي وجدت زائرة وأعتقد إنها كانت ضيفة زوجة أبي، فنادت عليّ خالتي لأعد الحليب للصغير قمت وأعددته وظلت أحمله ذهابًا وإيابًا.

-مسكينة تلك الصغيرة أهي ابنة زوجك؟!تسألت الضيفة

-نعم، إنها منى ابنته الصغرى و ليست بمسكينة، هذا التشبيه لا يليق سوي بنا فالمساكين كنا نحن!!

-سأعطيك نصحية لا أحد غيرنا يعلم بمقدار الألم والمعاناة، لقد جربنا حياة الملجأ، وعشنا تحت سقفه تحاوطنا جدرانه ويملئنا بؤسه،عامليها

جيدًا فهي يتيمة مثلنا!!

-أتسعت عيني زوجة أبي دهشة مما سمعت ويبدو أنها أدركت شيئًا فأطرقت في هدوء وقالت في حزن:

-ربما قسوت عليها حينها، وربما قسوت على أخيها، لا أعلم أهو طبع في الزوجة الثانية، أم أن زوجة الأب تكون دائمًا قاسية؟!

-ولكنك قولت دومًا أنك ستكونين أم لطيفة!! وهذه ابنة زوجك ويتيمة أيضًا لما لا تعامليها كأبنك الصغير وتأخذي الأجر بكفالتها؟!

-ولكن لديها أب!! كما أنها ليست بأبنتي، سأكون عطوفة على ابني من لحمي ودمي أما تلك فهي ليست كذلك.!

-انظري إلي جيدًا، ألم تقولي بأنه نادرًا ما يقيم في المنزل، نادرًا ما يتحدث معها، يا صديقتي هى يتيمة الأم ولا أعتقد أن أباها يعاملها معاملة الأب الحنون، ألم تحك لي عن معاملته السيئة؟! وتقولي أن أخيها قد تركها وسافرإذن بعد كل هذا تريدي معاملتها كخادمة لك ..!

سكتت برهة ثم قالت :

-لا أعلم!

ثم نهضت من فورها ولم تعلق ودخلت إلى المطبخ لتحضر بعض العصير لضيفتها ..

فأدركت ضيفتها أنها أوصلت كل ما تريد فنادت علي قائلة:

-تعالي يا منى، ذهبت إليها فأخذت الطفل مني ووضعت في يده بعض

النقود كانت تلك عادة وتقليد كل من يحضر ويرى طفلٍ جديد لابد وأن يضع له نقودًا تكريمًا لمجيئه، ولم تغفل عني فأعطتني كذلك وحينها جاءت زوجة أبي فرددت لها المال ولكنها ابتسمت إلي وقالت:

-يمكنك أن تأخذيه هذه رفيقة أمك ويجب أن تسعدي بذلك..فسألتها ولكنها لم تحضر لرؤيه أمي من قبل فنظرت إلي وكأنها متأسفة عما فعلت معنا وقالت: ألست مثل أمك؟!

ومنذ ذلك الحين وأصبحت زوجة أبي مثل أمي ..

حينها أدركت أن بعض الأشخاص لديهم طريقة جذابة في الحوار والإقناع، فكم من مرة يوجه أحدًا نصحه لزوجة أبي أن تعاملنا برفق وترأف بحالنا، ولكنها لم تسمع سوى من رفيقتها.!

أعترف حينها أنني فرحت بضمتها لي، فلقد افتقدت أن يضمني أحدًا ويشعرني بالأمان ،ولكنها لن تأخذ وجود أمي، أتمنى أن تعاملني جيدًا فقد افتقدت الحنان حقًا.

غادرت الضيفة وجلست زوجة أبي تقص لي حكايتها وكيف تعرضت للمعاناة ولكنها لم تلحظ أن حياتي مشابهه لحياتها إلا عندما أخبرتها صديقتها، قالت لي أنني محظوظة أن لدي أخ وإنها سوف تراعاني وتهتم بي منذ اليوم وقد فعلت ما قالت ..كنت أرعاها وأهتم بها ولم أنسى دروسي وكريم، كما أنها لم تهملني بل أصبحت تطبخ لي وتشتري لي الثياب وتأخذني معها إذا خرجت.

تعجب أبي لهذا التغير على طباع زوجته ومعاملتها لي ولكني أعتقد أنه سَرَّ بذلك..

أما خالد فقد علمنا بأنه سينزل زيارة أخر الأسبوع، مضى وقت طويل على ذهابه..

****

انتظرت طويلًا وجاءت اللحظة الحاسمة لحظة إعلان نتيجتي حينها كنت الثان على الكلية والأول على قسمي وكما هو معروف فإن الأول علي الكلية سيعين معيدًا اجباريًا أما باق الأقسام فمن حقها أن ترشح الأول وتُعينه في حال الحاجة إليه، تعجبت من كون تأخُر ترتيبي وأصبحت الثاني بدلًا من الأول ولكني لم أطمح يومًا أن أكون معيدًا، كنت أرغب في أن أثبت نفسي، وأصل إن عينت معيدًا أو لا سأعمل وأحقق ذاتي في أي مجالات الحياة، كما أن هناك فرصًا كثيرة للعمل، وبعد ظهور النتيجة طلبني أكثر من دكتور في القسم، وأخبرني أن القسم سيعينني،حتى أن أخي سُر بذلك كثيرًا، ثم كتب طلبًا إلى العميد يُذكر فيه حاجة القسم لمعيد فرحت بذلك وقدمته ولكني لم أتوقع أن يكون الرد هكذا!! لم يقبل العميد تعييني كأن بينه وبيني ثأر وأخذه برفض طلبي ومع ذلك الرفض قطعت أحلامي، لم أطلب السلطة يومًا وحينما سعيت لها رفضتني، على أية حال سأتوكل على الله فبالتأكيد سيدبر لي أموري. وكما قولت سابقًا: *نحن من يصنع الفرص ونحن من يحقق النجاح*.

اتخذت قراري وقررت أن أقدم على الجيش والتحقت به فعلًا، لم يكف لساني عن قول "اللهم أرني عجائب قدرتك في تحقيق ما أتمنى.. شعرت بأني قد ظُلمت وتم تبديل شهادتي، ولكني لم أرفع تظلمًا ولا دعوة ضد المصححين وكلت الأمر إلىٰ الله فقط، حتمًا سيحلها .. دخلت الجيش بكل ثقة لدي أمل أن تنتهي المشقة ويحسم الجدال ..وبالفعل انتهت مدة خدمتي بسهولة ويسر كأن الله قد وضع لي قبولًا في كل وجه، لم يقسو عليَّ أحد القادة، ولم أنزعج يومًا بل مضت الأيام سهلة ويسيرة، ثم ما لبثت مليًا ومضيت أبحث عن عمل منذ أول أسبوع لنهاية جيشي

لم أجلس على القهوة كعادة أي شاب يتخرج ولايجد عملًا في مجاله فيجلس منتظرًا رزقه، فروحت أبحث عن رزقي بنفسي فرزق الله موجود، ولكنه لن ينال إلا بالسعي، وبالتأكيد سيظل هنالك حظًا دائمًا ، كان بوسع أخي الدكتور أن يوفر لي عملًا ولكني لم أرد أن أحمله فوق طاقته، ولم أطلب من عمي كذلك، فبحثت وحدي وحينما وجدت كان أول عملًا هو..سباك أصلح المواسير وأغوص في المياه، أسلك الصنابير، وتلوثني مياه المجاري ولكني كنت سعيدًا جدًا بالأجر الضئيل الذي اتلقاه كان يكفيني أن يكون حلالًا ومن تعبي، ثم عرض علي أحدهم عملًا بأجر أعلى قليلًا فذهبت معه تاركًا المهنة ليس تقليلًا من شأنها ولكن رغبة في تعلم المزيد من أمور الحياة .

***

تزين البيت تكريمًا لمجيء خالد،أما عني فقد كنت متشوقة لأحكي له كيف تغيرت زوجة أبي معي؟! وكيف تعاملني؟! لابد أنه سيفرح عندما يعلم بأن شعري قد زاد طوله أربع سنتيمترات عن ذي قبل، كان دومًا يحب لونه ويقول أنني أبدو كالأميرة حينما أفرده وأضع التاج، أذكر أنني ذات مرة تعبت من تمشيطه فقررت قصة، ولكنه أعترض على ذلك قائلًا:

-إن الشعر زينة لكل فتاة، وأخذ مني وعدًا بألا أقصه طوال حياتي، حتي وإن كنت أتعب في تمشيطه ولكنه زينتي، لم أره منذ ذهابه للجيش سيسر كثيرًا برؤيتي.

وعند غروب الشمس أعلن القطار عن وصولة بدوي صوت عال فتهلل وجهي فرحًا لحضور خالد فلبست حذائي وكنت سأذهب ولكن زوجة أبي منعتني قائلة:

-حبيبتي، انتظري قليلًا وسيحضر خالد بنفسه، تعالي نجهز له العشاء فبالتأكيد سيكون جائع.

نظرت إليها مستحسنة رأيها وجلست أعد وأنظم الطاولة، كنت قد كتبت له بطاقة جميلة رسمتها بأقلامي، ولونتها بلوني المفضل "الأصفر "

وحينها طرق باب المنزل فأسرعت لفتح الباب ولكني تفاجأت بأبي يحضر مبكرًا علة غير عادة، تهللت أساريري لرؤيته قادم باكرًا ويبدو أن زوجته قد اتفقت معه على المجيء مبكرًا على الأقل ليلتقي بأبنة فهو لم يودعه عند ذهابه، إذن فليحسن استقباله لينسى الجميع خلافات الماضي،

ورأيتها تسرع وتصب له فنجانًا من القهوة ليعود لوعيه الليلة فقط!!

حل المساء سريعًا ولم يصل خالد فقال أبي:

-يبدو أن أجازته ستبدأ غدًا وليس اليوم فقد تأخر كثيرًا.

حزنت عيناي وبكى الصغير فحملته زوجة أبي لينام وانتهت الليلة بذهابنا للنوم وانتظار خالد صباحًا.

وفي اليوم التالي وجدنا طرقًا على الباب هذه المرة بالتأكيد سيكون خالد، فتحت الباب ولكني تفاجأت بشخص آخر وجهه مغطي بالأتربة ويبدو أنه متعب كثيرًا نظر إلى قائلًا أرجوكم انقذوا خالد حينها خرج أبي وزوجته وصرخت أنا..خالد ما به !!

نظر لوالدي قائلًا:

-تعال معي يا عم.

-انتعلت حذائي وذهبت معهم مسرعة لرؤية أخي الذي لا أعلم أين هو؟!

وفي أحد المستشفيات صعدنا جميعًا قلوبنا تصرخ على خالد وأنا أكثرهم أيعقل أن أحرم منه مثلما حرمت من أمي "اللهم أجرنا في مصيبتنا"..

حينها خرج الطبيب قائلًا:

-مَن منكم يقرب للمريض فأجاب الجميع جميعنا عائلته،

فقال أنه يردد باسم منى تستطيع أن تدخل وحدها لرؤيته حفاظًا على سلامته.

دخلت عنده مسرعة..أمسكت بيده وعيني تنزفان ..

-منى!! منى لا تبكي!!

-خالد أرجوك لا ترحل مثلما رحلت أمي.

-يا صغيرتي، حتىٰ وإن رحلت يبقي الله الذي لا يرحل، هل الجميع خارجًا هل جاء أبي معكم؟.

-نظرت إليه وأجبت نعم، جاء معنا، لقد تبدلت أحواله وكذلك زوجته أصبحت تعاملني جيدًا أرجوك تعافي سريعًا.

-أبتسم حينها قائلًا:

-لقد رأيت أمي إنها تقف تنتظرني، سأرحل إليها، لا يمكن أن نتركها كلانا.

-وأنا!! مع من سأظل إن تركتني؟!سألته باكية

-أبتسم حينها وجمع أنفاسه ببطء قائلًا: منذ قليل أخبرتني أن الجميع تبدلت حالته، ستكونين بخير، أي وقت تحتاجيني بجانبك انظري للسماء.

-ولكنك قولت لي أن هذه الجملة خاطئة ومقولة كاذبة !!

-الأرواح الطاهرة تكون دومًا في السماء يا صغيرتي، أعلم أنك فتاة قوية والآن اذهبي وادخلي الجميع هنا.

وقفت من على الأرض ناظرة إليه ودموعي منسكبة هل سيرحل يا ترى؟! فتحت الباب وناديت على أبي وزوجته وكان معه صديقه الذي أخبرنا عنه ولكنه لم يدخل.

-أبي!! أنا الآن في آخر لحظات حياتي، أكاد أشعر بسكرات الموت، أرجوك يا أبي أرجوك وصيتي منى!!

-خالد بني!! لا تقل ذلك ستكون بخير، أنت فتى قوي ولن يؤثر فيك أي شيء حتى تلك الرصاصة.

فأجاب قائلًا: لم يقتلني كل ما وجهته في الحياة، ولكن رصاصة قتلني، أبي لا تنسى منى، منى...

ولفظ آخر أنفاسه ليكتب من الشهداء ويموت خالد..

أسرعت إليه وصعدت إلى السرير أهزه هزًا عنيفًا، خالد أرجوك أستيقظ أرجوك قل أنها مزحة من مزاحتك، لن تتركني مثلما فعلت أمي، هل أنا سيئة إلى هذا الحد ليتركني الجميع؟! خالد!!

وسقطت الصغيرة مغشيًا عليها

****

عدت بعدها إلى المنزل لعلي في كابوس سيء ولكنه لم يكن كذلك بعدها بلحظات قدم أبي برفقة بعض أصحابه وتم تجهيز جثة خالد هذه المرة لا غسل ولا تكفين، فهو من الشهداء، ودعته حينها وداعًا حاراً بكيت بشدة بصوت ملئ بالشجن، فقدت في ذلك اليوم سندي.

وبعد العزاء صمم أبي أن يعرف ما حدث لأبنه فسأل رفيقه الذي يدعي أحمد

-فأجاب:

كل ما في الأمر أنه تم تكليفنا بمهمة عند حدود البلاد، ولأني أجيد القيادة كنت أتوالها حينما تعرض لنا بعض الناس لا نعلم أهم أعداء أم لصوص أم إرهابين، أم خونة، أم ماذا؟!

هجموا علينا وبدأت بينا وبينهم معركة كبيرة حاولنا أن نطلب المساعدة وظللنا نقاوم لأخر نفس لنا نجوت أنا من بينهم وأصيب خالد بينما بمجرد وصول الدعم هربوا جميعًا بعد انفجار كبير، لم أفهم حينها ما علي فعله سوى إنفاذ صديقي تركت الجميع هائم والقوات تنقذ المصابين أخذت مفتاح السيارة التي قدمت وانطلقت بخالد إلى أقرب مشفى، كان في الطريق يكتم ألمه وأنا كنت أقود كالمجنون أعتقد لو أني في طريق عام لكنت قد حُرمت من القيادة أبديًا بسبب تلك السرعة الجنونية، أنظر إليه ودموعي تنزف، رأيته بعيني وهو يكتم صرخة الألم ويهدأ نفسه قائلًا:ستكون بخير يا خالد.مني تحتاجك..

ولكن أوجاعه كانت تزيد لحظة بلحظة، وعندما تضاعفت الأوجاع صرخ صرخة أنفطر لها قلبي، قاوم باستماتة وببسالة.

-كان طوال الطريق ينظر إلي ويقول: هل رأيت كيف قتلتهم؟! كيف أنقذت سلاحي من السرقة.

فأرسم على وجهي ابتسامة كاذبة وأجيب: أنت دائمًا بطل يا صديقي، أرجوك اصمد وقاوم لنصل إلى المشفى.

-أكمل قائلًا: "الأعمار بيد الله يا صديقي، أنها دنيا فانية، زائلة، لا يعلم

أحدنا أي وقت سيكون رحيله، ولو علم ذلك لأعد له عدة، إذا أراد الله لي نجاة سأحارب مجددًا كل من يعتدي علي ما ليس له، سأدافع عما أملك دائمًا، يا صديقي هناك عائلة فقيرة على الحدود بجانب تلك الشجرة التي سقطت إذا لم يهبني الله عمرًا فأذهب لهم وأعطهم قليلًا من المال، فإذا مات ابن أدم أنقطع عمله إلا من ثلاث وأكمل صدقة جارية.. وعن أهلي.. منى وصل لأبي وصيتي أن يهتم بمنى ثم تكور على نفسة من شدة الألم وأستسلم لفقدان وعيه وأغمض عينه في إعياء تام، أوقفت حينها السيارة محاولًا معرفة هل هو على قيد الحياة أم لا؟!

وحينما وجدته على قيد الحياة أكملت للمشفى حينها قد علم الجميع بما حدث وأُذيع الإنفجار على إذاعات الراديو والتلفاز.علمت عنوان المنزل منه سابقًا وعرفت لونة من رسمة كان ينظر إليها دائمًا قائلًا إنها من صغيرته منى كان يقول لي بأن أول أجازه لنا ستكون في منزلكم ولكنه رحل..

بكي حينها صديقه بشدة، كانا صديقين منذ فترة التدريب وشاء الله أن يكونا أخوين في الله، فأحبه كأنه قطعه من لحمة، وحزن عليه كأنه فرد من عائلته ثم أخبر أبي بذهابه قائلًا إذا احتجتم لشيء فخالد باقٍ لم يمت..

ثم ودعنا ورحل..دخلت إلى غرفتي وعيني ممتلئة بالدموع أمسكت بكراسة الرسم خاصتي ورسمت وجه خالد ووضعت له جناحين أبيضي اللون ونظرت إليه وانفجرت باكية، حينها دخلت زوجة أبي وضمتني

إليها

-لما الجميع يرحل عني؟! ماما وخالد نظرت لها بعينان ممتلئتان بالدموع

-لأنها مشيئة الله يا صغيرتي، والله لا يختبر إلا الصالحين.

-ولكني أريد أخي، أريد أمي، أريد حياة سعيدة مثل أصحابي، أليس من حقي ذلك؟!

-بلى، وستحصلين على حياة سعيدة ولكن عليك أن تثقي بالله أولًا

-وضعت يدي على وجهي وبكيت بشدة، لم تشعر زوجة أبي بنفسها إلا وهي تضمني وتبكي معي ..

ما أصعب لحظة الفراق، خاصة تلك اللحظة التي ينادى عليك فيها لتودع الشخص الذي تفارقه، حينها يبكي القلب قبل العين، ينتحب الصوت وتصرخ النفس قائلة لا أرجوك!!، وداع في وداع في وداع، ما أسوء أن ترى فقيدك في لباس الموت، وجه وجسد ولكن لا روح ولا نفس، حقًا إنها دنيا فانية وتؤدي إلى الهلاك ..

كانت زوجة أبي تهتم بي كل يوم توقظني وترعاني، تضع لي الطعام في فمي إذا لم أكن عازمة عليه، تلطف الجو وتحاول أن تجعلني أنسى كل من رحلوا..!

****

البيت هادئًا تمامًا، الجميع قد غط في نوم عميق، استيقظت من نومي فجأة أثر حلم جميل رأيت فيه امي وخالد كانا يبتسمان تمنيت أن أذهب معهم

ولكن أمي أخبرتني بأن الوقت لم يأتِ بعد ولابد أن أتعايش مع أيامي، كانت أمي تعلمني منذ صغري أن الصلاة ملجأ للقلوب المنهكة، أخبرتني أنه مهما كانت ديانة الفرد فإن أي وجع يلُم به..عليه أن يتوجه إلى الله، يصل ويدعو، يتوسل ويرجو يبكي ويتضرع ليبعد الله عنه الإبتلاء وينجيه من مهلكة، وقلبي الآن منهك فلابد أن أتقرب إلى الله، ارتديت ملابس الصلاة وجلست على السجادة نزلت العبرات من عيني متتالية تذكرت وجه أمي السُّني وعيناها اللامعتين، تذكرت حينما كنا نصلي سويًا وحينما لا تستطيع الوقوف تدعو وتبتهل للخالق، تذكرت خالد وكيف شيعته بعين دامعة، كأن كل شيء محزن قد حل بي واستدعت ذاكرتي كل حدث أليم أمامي، ماذا حدث وكيف هبت بي تلك العاصفة الأليمة لتأخذني في دوامة الحياة واختباراتها المؤلمة، وأثناء حديثي مع الله وجدت زوجة أبي دخلت عليَّ ويبدو أن كريم قد استيقظ فأيقظها فجاءت تطمئن عليَّ، لمعت عيناها حينما وجدتني أصلي، وقالت:

يعجبني إيمانك يا مني، التقرب إلىٰ الله شيء عظيم.

-أُحِب الله وأعلم أن كل ما يحدث لي اختبارات، وعليَّ أن أجتازها بصبر أعترف أني يئست في آخر مرة ولكني لن أفقد ثقتي في خالقي أجبت عليها بود

-هل يمكنني طلب شيء منك؟!تسألت بإمتنان:

-بالتأكيد تفضلي.

-يمكنني أخذ لباس أمك الخاص بالصلاة، فليس لديَّ واحد؟

لم تصلى زوجة أبي منذ أن جاءت إلىٰ منزلنا، فلِما لا أعطيها لباس أمي وتتقاسم الأجر معها شردت لحظة

-بماذا تفكرين؟! حسنًا لن أخذه. غدًا نذهب ونشتري واحد.

-لا بالتأكيد، ألم تخبريني بأنكِ مثل أمي، إذن فلتأخذي الثوب.

فرحت لذلك وذهبت لتغتسل ثم توضأت وجاءت لنصل سويًا ومنذ ذلك اليوم وبدأنا عهدًا جديدًا مع الله.

مضت الأيام سريعًا كبر كريم وأنا أيضًا كبرت، أتممت آخر إمتحان لي بالثانوية العامة بالتأكيد سأحصل على كلية راقية فلم أخطأ بالقدر الكبير ستكون كلية الطب مصيري، أما كريم فعمره الآن ست سنوات وأصبح جميلًا جدًا، يتمثل في هيئة خالد أما أمي "زوجة أبي" فهىٰ تدللنا ولقد منحها الله صبرًا على أبي فعاشت معه على طباعه وتأقلمت معها، فليس للمرء مقدور علىٰ إعادة صنع حياته ولكن بإمكانه أن يستأنفها .

****

-منى يقولون أن نتيجتك ستظهر اليوم!!

-لا أعلم يا أمي، أنا قلقة جدًا، سوف أفتح التلفاز لأعرف الوقت، فتحت التلفاز ولكني لم أجد إلا الوزير يعلن عن أوائل الثانوية العامة..

توقف قلبي هل يمكن أن يتصل بي وأكون من بينهم؟! ولكن لا الأوائل لم ينقصوا سوى درجة أو درجتين لربما لم ينقصوا شيئًا وأنا أخطئت في

خمس درجات، ولكن أخر طالب أعلن أنه العاشرعلىٰ مستوىٰ الجمهورية كان قد حصل على ٩٨ بالمئة هل نقصت درجاتي لهذه الدرجة؟!تعجبت متسألة

-اهدئي عزيزتي، لربما تأخر اسمك.

-لا لقد أنهىٰ العشر من شعبتي.

-لا تخافي بعد قليل ستعلن النتيجة، أدعي الله الآن وظني بالله ظنًا حسنًا فكل متوقع آت.

-سوف أذهب لأصلي بعدها سأتصل بصديقتي مها.

ذهبت لأداء الصلاة والتوسل إلىٰ الله ألا يردني، كان يومًا من أيام شهر رمضان المبارك والجو حار كثيرًا، بعدها أتصلت بمها التي أخبرتني بأن النتيجة ستظهر قبل الإفطار بربع ساعة.

جلست أنتظر ممسكة بهاتفي منتظرة أن يبلغني أحدًا نتيجتي، معظم من أعرفهم نجحو وقبل المغرب بدقائق اتصلت مها وكان في صوتها الفرح قالت حينها:

--منى، لقد حصلت على٪ ٩ ,٩٧

-يا الله!! مبارك لك يا صديقتي، لم أعلم نتيجتي بعد!

-انتظري سوف أجلبها لك ولكن طمئني قلبك فأنت الأولىٰ على مدرستنا مثل كل مرة.

انتظرت برهة من الوقت عندما صرخت مها قائلة:

-مني !!لا أصدق هذا لقد حصلت على ٨٧ ٪ فقط!!

-أأنتِ متأكدة!!، مها أرجوكِ أعيدي فتح الموقع لربما أخطأتِ في كتابة رقم الجلوس.

-انتظري، كتبت ٨٦٥٨

ماذا ؟! هل أخطأت ؟ قولي لي أنك كذلك؟!

-لا ..أنها مثلما قرأتها في المرة الأولىٰ ٨٧٪

سقط الهاتف من يدي حينها حُلمي بكلية الطب قد زال حتي كلية الصيدلة لن تقبل بي تحطمت أحلامي مجددًا، دخلت إلىٰ غرفتي ودموع عيني تنسكب، أظن أن البيت كله قد حزن لحزني هذه المرة، لم تضع المائدة ولم تقدم العصائر، لم يبل ريقي سوى دمع عيني النازل، لا أعترض على قضاء الله ولكني لم أتوقع نتيجتي!! دارت الدنيا بي وخيم شبح الظلام أمام عيني فاستسلمت له ووقعت مغشيًا علي ...

***

لم أستيقظ بعدها سوى قبيل الفجر، لأتناول سحوري، لم أخرج لأتناوله معهم ولكن زوجة أبي أحضرته لي، امسكت بكوب الماء شربت منه رشفه أو رشفتين ولم أستطع الإكمال لا أحد يعلم كيف كان شعوري حينها؟! انتظرت الأذان وذهبت لأصلي ورأسي يكاد ينفجر!!

وفي اليوم التالي لم أستطع الخروج من الغرفة كطفل أقترف جرمًا ويخشى المواجهة، ظللت يومين متتاليان في الغرفة لا أخرج إلا للضرورة.شعرت

بأني مجرمة وتخشى المواجهة، ما أبشعه ذلك الشعور !!

-مني!!

-تحدثت مع والدك يمكنك أن ترفعي دعوة بالتظلم ،في أي المواد سستتظلمي؟!

-حينها تمنيت أن أخبرها بأني ظلُمت في كافة المواد ولا درجة لأي مادة تخصني إلا أنني أجبت:

-لقد رضيت بما كتبه الله، وسأنتظر التنسيق لأقدم بأي الكليات تقبلني.

-ولكن ماذا عن حلمك ؟!

-"لن يتلوث بحر نجاحي من أول نقطة فشل" سأرضىٰ بما يكتبه الله لي ولن أيأس.

ضمتني إلى صدرها، ودعت لي بالتوفيق، كانت تعلم بأن والدي لن يسمح بالتظلم في كافة المواد، ومقدار الجهد الذي سنبذله كي أتظلم كبيرًا، وسيتطلب التظلم مالًا ولن يقبل أبي!!،وحتىٰ إن كانت لي درجات كثيرة لن أتمكن من أضافتها إلا إذا كان خطأً في جمع الدرجات، لذا فلما أصرف المال هنا وهناك على شيء لا أتوقع حدوثه!!، بالرغم من إنني ظُلمت ولكني رضيت.

وبعدها بأسبوع نزل التنسيق وجهزت نفسي لأقدم في المرحلة الثانية، أتصلت بصديقتي مها فهي قدمت في المرحلة الأولي منه ولكني تفاجأت.

-مرحبًا مها ..لم تتصلي بي منذ إعلان النتيجة؟!

-أهلا منى،، أعذريني، تعرفين فرحة النجاح، والزيارات التي لا تنتهي مباركة لكوني طبيبة فلقد تم قبولي في كلية الطب ماذا عنك؟!

-اتصلت بك، لكي تذهبي معي لأقدم.

-ماذا!!أذهب معك، لا أستطيع فأنتِ تعلمين أني مشغولة، كما أنني سأذهب مع صديقتي أسماء لشراء ملابس تليق بالجامعة، هىٰ ستكون صديقتي في نفس الكلية، نصيحة ابحثي من الآن عن صديقة بنفسك مجموعك لترافقك وأغلقت الخط دون مراعاة لاتصالي..

دخل في تلك اللحظة أخي كريم قائلًا:

-منى أنا جائع، هل تودي أن نأكل سويًا؟

لكنه لم يتلقِ أي جواب فنظر إلي قائلًا:

-منىٰ هل تبكين؟!

حاولت أن أخفي دموعي كانت دموع حيرة وحزن رفيقة عمري تتخلي عني بسبب المجموع الذي ليس لي دخل به مسحت دموعي سريعًا وقلت:لا يا حبيبي كنت أود أن أرسم ذلك الرسم الذي ترسمه الفتيات على أعينهم ولكني لم أنجح.

-تقصدين "الأيلينر"

-يا لك من طفل خطير، أتعرفه؟!

-نعم أعرفه، كل يوم أرىٰ ندى أخت صديقي عمار تضعه في أعينها فسألته لم تضع أختك كحلًا فوق أعينها بدلًا من داخلها؟!

فأجاب أنه "الأيلينر" ثم أستكمل قائلًا:

-أنتِ أجمل من دونه.

ضحكت من ذكاء أخي الصغير، ثم أمسكت يده وقبلتها هو كذلك وضع قبلة علي رأسي ثم احتضنني قائلًا:

-أُحبِّك أختي منى.

ضممته إليَّ ثم ذهبت لأتناول معه الطعام مفكرةٍ فيما سوف يكون في الغد. وفي صباح اليوم التالي كنت قد عزمت بالأمس ألا أضيف أصدقاء إلى قائمة معارفي فصديقتي الوحيدة تعالت علي بسبب مجموع ماذا أنتظر بعد؟!، أخذت كل ما يلزمني وذهبت قاصدة مكتب التنسيق وكلي خوف من المستقبل المجهول.

****

عملت في تكسير المباني القديمة، نكسر مبني قديمًا ثم نبني غيره، كنا مجموعه كبيرة من الشباب ما أصعب ذلك العمل حينما ترفع الخرسانة وتنقل الأسمنت من مكان لآخر طوبة تلو أخرى إلى أن يكتمل البناء، أنه لأصعب الأعمال التي قمت بها في حياتي يحتاج منك أن تكون الأقوىٰ جسمًا لتتحمل السهر والتعب، ولكني لم أستسلم بعد فروحت أرفع وأرفع وفي أحد مرات الراحة جلست بجانب فتى وأخذ يتحدث معي:

-تبدو متعلمًا!! لما أذن تعمل تلك الأعمال؟ لما لا تبحث عن عمل تجلس فيه على مكتب وتتولىٰ أمورك من مكانك؟!

-إنها الدنيا يا صديقي، ولا بد أن نرى اختبارات الحياة "فلا أحد منا مخيرًا أن يختار طريقة، ولكن لابد أن ينجح فيه مهما حدث".

-فصمت برهة ثم قال حدثني عنك، روحت أحكي له حكايتي، وماذا حدث لي وكيف بحثت عن عمل.

-فهتف قائلا:

-هناك عملًا يليق بك، مركز التشجير في المحافظة يريد مشرفًا شرط إتمام التعليم الجامعي وهناك متعلقات أخرى ولكني اعتقدت أنك ستقبل فيها لا محالة.

تهلل وجهي حينها وطلبت منه عنوان ذلك المكان وموعد المقابلة فقال أنها بعد غد وغدًا أجازة من عملنا يمكنني تحضير نفسي وتجهيز كافة أوراقي.

****

أتممت كتابة الراغبات كنت قد وضعت حلمًا جديدًا أمامي، ورغم أن مجموعي ليس بالقليل إلا أنني أخترت كلية الزراعة لتكون محل دراستي ولن أستسلم سيكون حُلمي أن أنال لقب "دكتورة" منها هذا هو الحلم الذي كُتب على جبيني منذ ذلك اليوم .

****

وفي ليلة ما ..كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشر منتصف الليل، عندما عاد والدي وبرفقته بعضًا من أصدقائه بغير عادة أن يقدم أحدهم بهذا

الوقت إلا لضرورة، كنت حينها أقرأ رواياتي باستمتاع شديد فأنا أحب كل روايات الكاتبة "أجاثا كريستي"

واخترت "جريمة في وداي النيل"

لم أستطع النوم بدون أن أكملها ولكن صوت الضيوف كان عاليًا فلم أستطع التركيز جيدًا فتحت الباب وخرجت من غرفتي لأشرب، لم أكن من الفتيات التي يحببن التنصت على كلام الآخرين إلا أن الحديث قد جذبني هذه المرة فوقفت مستمعة!...

-أنه رائع ويبدو أنه ثقيل جدًا، ماذا أخبرك المشتري عن ثمنه؟!

-لم يعرض عليَّ الكثير قال أنه يباع بمليونين فقط فلم أبعه وجئت أعرضه عليكم فأنا أعلم أن لديكم مشترون أجانب.

-لا أنكر أنه تمثال رائع!! انتظر للغد وسوف أجد لك مشترى

-أتمنىٰ أن يجد أحدكم من يقدر قيمته، ولكن كيف بعتم نصيبكم بتلك السرعة؟!

ضحك أبي حينها قائلًا لم يكن نصيبنا سوىٰ الربع من المكسب ولقد خسرت معظم المال في آخر رهان.

ثم استكمل حديثه، السيد بكر كان رجلًا ذكيًا جدًا هو من قام بكل شيء ثم نظر إلى صديقه الذي كان يجلس مختالًا بنفسه ويبدو أنه هو السيد بكر وقال:

هو رجل عبقري تولي بطريقة ذكية بيع تلك الأثار خارج محافظتنا.

-وماهىٰ تلك الطريقة ؟ سأل أحدهم متعجبًا..!

-انتظر لحظه..ثم قام وأحضر أحد العُلَّب الصغيرة (برطمانا مخصص لبيع السمن)

-أتمزح معي، هل سنضع التمثال في علبة سمن!!

-نظر إليه قائلا:

انتظر لترىٰ..

جاء بمعلقة ويبدو أنها ذهبية ثم وضعها في علبة مليئة بالسمن بعد أن غلقها جيدًا بوضع كيس فوق الآخر من البلاستيك ثم تساءل في لحظتها:

في أي فصل نحن؟!

-نهاية الصيف وبداية الخريف ولكن الجو بارد ما علاقة ذلك بالتمثال؟!أظن أننا بحاجة إلي مزيدًا من الشرح استكمل أحدهم

-هل درستم شيئًا عن تجمد السمن؟!

-نظروا إليه ويبدو أنهم لم يفهموا مقصدة فأكمل قائلًا:

-السمن من الأغذية الهامة التي تنتجها مصر بطريقة جيدة وتصدرها خارجًا.

-وما علاقه ذلك بموضوعنا؟!

-السمن يمتاز بكثافته إذا تجمد تمعنَ فيما سيحدث.!!

أخذ الملعقة ووضعها بداخل علبة السمن ثم طلب من أبي أن يضعها في مجمد الثلاجة قليلًا..

ثم انتظروا بضعًا من الوقت يتسامرون وبعدها طلب من والدي أن يجلب العلبة لهم..

حينما تجمد السمن كان قد صبغ بلون مائل للصفرة ويبدو أنه سمن بقري غير مغشوش ولم نستطع رؤية الملعقة ولا الكيس البلاستيك بداخله كأنها اختفت تمامًا..

-هذه هىٰ الطريقة المُثلى التي يستخدمها جُل من يبيعون الآثار مثلي فلا أحد يحتمل التفتيش خاصة إذا كانت سيارة نقل بداخلها الكثير والكثير من صفائح السمن، كما أنه سينقل في سيارات بداخلها مجمد خاص فلن تصل إليه الحرارة مهما حدث.

-ولكن تلك الطريقة التي استخدمتها هنا، ماذا عن تهريبها خارج البلاد؟

-خارج البلاد ليست مهمتنا نحن، نحن نتولى تهريبها هنا لننقلها إلى أي مكان داخل أي محافظة يطلب منا شرط أن يكون ذلك المكان قريب من ميناء.

-وما علاقة الميناء بذلك؟

-هناك يمكن أن تقدم الرشوة لمن يطلبها وتنقل ما تشاء من مواد إلي إحدى السفن التجارية الضخمة، ولكن هذه ليست مشكلتنا، كل ما يمكننا فعله نحن تهريبها من محافظة لأخرىٰ بدون تفتيش.

-تعرفون،،إنني أتعجب لما الأجانب مغرمون بشراء الآثار؟

-ليسوا مغرمين فحسب، بل إنهم يختالون بها، تخيل أن يضعها أحدهم

في مُتحف هنا كل من يراها يدفع ثمنًا للتذكرة عندها سيكسب أضعاف ما دفعه لشرائها، كما إن تزين القصور خاصتهم بتلك الآثار يجعلها ذات مكانة ويزيد من فخامتها..

-حقًا..يا لنا من بسطاء، ليتني أملك مالًا يكفي وأفعل مثلهم.

-هههههه، أنسيت أنك ضيعت ما كسبته من نصيبك في اللعب والرهان؟!

ضحك صاحب أبي

ثم أكملوا حديثهم يتسامرون.

****

مقبرة أثرية ..

استمرت زيارات أصدقاء أبي تتوالي يومًا بعد يوم ويبدو أن الأمر هام ..

وذات ليلة عرفت أن في بيتنا كنز..

-أسمع أخي سمير لقد قال الشيخ فوزي وهو مقتنع تمامًا تحت بيتك القديم مقبرة هكذا هتف صديق أبي .

-علمت ذلك ولكن أمر استخراج هذه الأثار صعبًا جدًا.

-حتى وإن كان كذلك فالصعاب تهون ونحن معك علىٰ شرط أن يكون الكنز مقاسمة بيننا بما أن الخير كثير.

-لكم ذلك ولكن نحن لم نعرف التفاصيل بعد.

-انتظر سأتصل به ليحضر إلينا ونعلم كل التفاصيل.

مضت ساعة منذ ذلك الاتصال حتي جاء الرجل الذي يلقبونه الشيخ فوزي، لا أتفق مع تسميته هكذا، فالشيخ لقب يدل على الوقار،ولكن لرجل يدعي أنه ساحر أو دجال أو ما شابه بذلك ويلقب بشيخ ماهذا؟!

قطع تفكيري دخول الشيخ إلىٰ منزلنا طلب أبي مني أن أحضر بعض القهوة لضيوفه فحضرتها ثم جلست في المطبخ أنتظر آخر الأخبار..

جلس يتحدث مع والدي وأصحابه ثم انصرف طالبًا منهم أن يحضروا جميعًا للقائه غدًا في البيت القديم.

كان ذلك بيتًا لدى والدي قديمًا، لا نستخدمه ولكن بعد ما سمعته أصبح ذا قيمة لدينا، ومن منا يكره المال!!

وفي اليوم التالي خرج أبي مبكرًا على غير عادة وذهب أما أنا فبقيت في المنزل ولا شك بأن الفضول سيقتلني فرحُت أحكي ما حدث لأمي (زوجة أبي)..

-لم يقص لي والدك كل هذا ولكنه كان يقول:

"ستفتح لنا طاقة القدر" فعلمت أنه خيرًا ولم أسأل لما؟! وكيف!!

-أمي!! أرجوك هل يمكن أن تعرفي ما حدث هناك وتقصية علي؟، أسألي أبي عن ذلك سيقلتني فضولي.

-بالتأكيد، سأفعل فالأمر يهمنا جميعًا. ثم تركتني وأنا أفكر ما قصة ذلك البيت؟!.

جهزت نفسي في تلك الليلة كأني ذاهب لموعد غرامي وليس مقابلة شغل،

ولكني تلقيت اتصالًا من أخي قال فيها:

سليم! مساء الخير

-مساء الخير أخي، كيف حالك؟!

-بخير الحمد لله، أريد منك أن تأتي غدًا إلى الجامعة لتساعدني في بعض الأمور.!

-ولكن لدي عمل!!

-يمكنك تأجيله.

كنت سأعترض ولكني لم أعتد رفض أي طلب له، والمقابلة تؤجل ليوم فلن يفرق ذلك.

-حسنًا أخي سأكون عندك صباحًا.

تغيرت مساراتي وبدلًا من ذهابي لمقابلة العمل، ذهبت للجامعة!

وحينما وصلت اتصلت به كان قد أبلغ أمن الجامعة بأن يدخلني فدخلت بسهولة ثم توجهت إلىٰ الدور الخامس حيث يوجد مكتبه فطرقت الباب ثم دخلت وسلمت عليه ورأيته يقوم من مكانه ويضبط من هندامي ويأخذني ونغادر المكان توجهت معه إلىٰ المبني الإداري في الكلية ودخلت معه إلى غرفة العميد تمنيت ألا أراه وحدثت أمنيتي بالفعل فرأيت دكتورًا آخر قد تولي عمادة الكلية.

-تفضل بالجلوس يا دكتور سليم مقدمًا.

-دكتور! يبدو أنه يمزح معي ولكني رأيت أخي يقف ويجذبني إليه قائلًا:

-لقد نصرك الله يا أخي، كنت علىٰ حق وحصلت علىٰ حقوقك ولم يرضَ الله بالباطل، لقد وافق سيادة العميد بعد تعينه مباشرة على تعينك لأنك تستحق.

-ولكن كيف؟! أظن أن مدة التعيين قد انتهت

-لا لم تنتهي بعد!! بقيَّ شهر كامل، وأنت استلمت قبل انتهائه.

-كيف ؟! وماذا عن العميد السابق ؟

ضحك العميد الجديد حينها وقال إنها مشيئة الله ولا بد أنك تستحق، الآن عليك أن تذهب لتمضي العقد.

كانت علامات الإمتنان في عيني وكلي سرور لا أصدق حقًا إنها لفرحة تستحق الشكر، سجدت سجدة شكرًا إلىٰ إلهي الذي لم يضيعني أبدًا، ثم ذهبت مع أخي لنشكر كل من ساعدنا على الوصول.. لم أتوقع ذلك كانت فرصتي الأخيرة، مدة المقارنة كانت سنتين.

في آخر شهرين تحديدًا تم تعيني إنها لمعجزةٍ حقًا، جئت مراضاة لأخي وألغيت مقابلتي لنصر من الله وتحقيقًا لمرادي..

عاهدت نفسي منذ ذلك اليوم أن أظل مع الحق مهما حدث، أن أقف مع كل من يُظلم، أن أكون السند لمن لا سند له.

***

لم أتوقع يومًا أن أكون في ذلك المأزق، ولم أتوقع أن تكون نهايتي هكذا!! كنت أسمع عن تلك الشائعات ولكني لم أصدقها يومًا..

علمت بأن منزلنا تحته مقبرة فرعونية تعود لفرعون كان يحكم مصر قديمًا وعندما دُفن وتبدلت الأحوال دفنت ثروته معه معبد كبير به ملايين الآثار من يحصل عليها يعيش مرهف طوال حياته، ثروة ليست لها نهاية، وحتي نحصل على ذلك المال لابد أن يضحي أبي بي، يضحي بمنى ابنته الأولى، لست مدللته، ولكني من لحمة ودمه ، يضحي بي ليحصل علي ثروته ولكن ماذا عساه يفعل؟!

الاب يظل أب مهما قسىٰ على أبنائه، مهما فعل!! سيظل أب ولكن ماذا عن أبي!!.

-بما تفكر يا سمير؟! لا تخبرني أنك ستوافق وترمي ابنتك مقابل المال !

-قُلت لك من قبل لن أضحي بها ولكن حارس المقبرة طلب ذلك؟!

-لم أعد أفهم شيئًا، أرجوك قل لي ماذا حدث هناك؟!

ثم بدأ أبي يروي الأحداث..

ذهبنا جميعًا برفقه الشيخ فوزي إلى المنزل كنت قد قررت في نفسي إذا طلب مني مالًا أو مطلبًا ماديًا أنني لن أوافق وسأخرجه من منزلي لأنه سيكون نصابًا في تلك الحالة. ألا أنه دخل وعد سبع خطوات للأمام ثم أمرنا بالرجوع خطوتين إضافيتين وطلب مني الوقوف في المنتصف بحكم أني صاحب الثروة ومالكها.

-وماذا بعد؟

-أشعل بعضًا من البخور، لم تعجبنا رائحته وطلبنا الخروج ولكنه أكمل

بأن رائحته ستتغير بعد قليل، ثم وجدناه يتحدث مع شخص ونحن لا نراه..

هذا أمر صعب!!

-أطلب غيره.

-لا نريد المزيد.

-كل ما نريده الموجود.

-ثم سكت وسحب لحيته وأخذنا خارجًا ثم قال لي: حارس المقبرة صعبًا جدًا، ولا يوافق على خروج الكنز بأي طريقة غيرها.

-ماهي تلك الطريقة؟!

تلبك الشيخ فوزي، ولكنه أكمل:

-يريد..يريد

-ماذا يريد؟!

-يريد مني!! ابنتك!!

-ماذا؟!! وكيف عرف عن منى؟ بماذا أخبرته؟

-لم أذكر اسمها أمامه، ولا أعرف كيف عرف عنها؟ سأحاول التحدث معه لنجد طريقة أخرى ثم تركنا وانصرف.

ورجعت أنا إلى هنا وأخبرتك أن خروج الكنز يتم برحيل مني.

-هذا جنوني، كيف يرتبط شخص بمال؟.

-لا أعرف، رأسي سينفجر.

كان هذا الحوار الذي سمعته بينهم حتىٰ أنا لا أعرف ماذا أفعل؟!
دسست نفسي في سريري ونمت وأنا أبكي خوفًا مما سيحدث غدًا..
ورأيت كابوسًا مخيف..
رأيت نفسي وكأني أنزل من طبقات درج علوي طبقة تلو الأخرى درج لا ينتهي ..
وسمعت صوتًا برنبال انزلي. انزلى أكثر.. كل ما تحُلمين به هنا في الأسفل..أنزلي أنزلي..
ولكني لم أطمئن لشيء مما حدث.
تمنيت حقًا أن ينقذني أحد ويوقفني من النزول الذي لا أريده وأندفع له بلا رغبة قدمان تنزلنا وعقل وقلب يرفضان وأنا بين كل تلك الأشياء..ظلت ثلاثة درجات وأسفلهن يوجد أشياء تلمع ذهب ومُجوهرات في كل مكان توابيت مذهبة وأخري فضية جدرايات مرسومة ، لؤلؤ وكل ما يحلم به الأنسان من مال وصوت يوجهني للنزول أكثر فأكثر وسمعته يقول هيا آخر خطوة يا برنبال فوقفت لحظة ثم بعدها رفعت قدمي وكنت سأنزلها إلى ذلك المكان ولكني استيقظت على صوت خالتي وهي تهزني لأصحو..
-منى!! أفيقي منى!!!
-فصرخت وحضنتها باكية وكأنها كانت نجاتي.
-منى!! ماذا بك يا ابنتي هل أنتِ بخير؟! تتصببين عرقًا ونادت على

والدي

-سمير!! سمييير فجاء أبي مسرعًا إلينا وحكيت لهم ما حدث..

-منى!! ستضيع ابنتك بسبب ما يحدث!!صرخت خالتي

-تمهلي سأتصل بالشيخ ونعرف تفسير ذلك.

اتصل أبي بالشيخ ودعاه لبيتنا

وحينما وصل ارتديت حجابي وخرجت إليه، طلب أبي مني أن أخبره بما حلمت فحكيت له ما حدث فسكت مليًا ثم قال:

-منى!! إذا حدث وتكرر الحُلم لا تذهبي مع من يناديك! ولا تنزلي تلك الدرجات أبدًا.

فسارعت زوجة أبي قائلة:

وماذا سيحدث إذا نزلت أو ذهبت مع الصوت؟!

-إذا حدث وذهبت مع الصوت فإنها لن تعود أبدًا، ستعلق روحها هناك ويبقي الجسد هنا وتنتهي حياتها!!

-ماذا!! يا شيخ تصرف وأنقذ ابنتي.

فصمت الشيخ مليًا ثم طلب ورقة وقلم وكتب بعض النقوش والجمل عليها، ثم لفها بشكل معقود وأعطاها لي وقال منى:

عليك كل ليلة أن ترتدي هذه الورقة قبل أن تنامي ولا تنسي أبدًا لأنك إذا نسيت فربما لا تعودي!!

-فصرخت خالتي لا تقل هذا لن تخلعها أبدًا.

في كل ذلك الحديث لم يقل أبي أي كلمة وظل يفكر ويبدو أن في رأسه أمرًا ما..

ذهب الشيخ وبرفقته والدي إلى بيتنا القديم

علمت حينما عاد بأن المقبرة لن تفتح إلا إذا ذهبت أنا وأن أبي رفض ذلك، ولكنه وجد غرفة أخرىٰ تحتوي على كنز وثروة ليست بالمقدار الذي رأيته لكنها ثروة ترفعه من مكانة إلى مكانة أخرىٰ تمامًا. وأنه سيذهب ليستخرجها نهاية ذلك الأسبوع، ظل أبي يعد الأيام والساعات ليأتي اليوم المنتظر ولكن في ليلة ذلك اليوم تجمعوا في بيتنا، طلب الشيخ مطلبه قائلًا:

-سوف أخذ الثلث وأنت يا سيد سمير تأخذ النصف بحكم أنك المالك وباقي الثروة يتم توزيعها مناصفة بينكم أنتم الثلاث مشيرًا إلى أصحابه، رأيت علامات الرفض بادية على وجوههم ولكنهم في النهاية وافقوا على ذلك وانتظروا للصباح وحينما حل الصباح تناول أبي فطورة مسرعًا وضمنا إليه، شعرت بأنه يودعنا ولكنه قال أنها ضمة الفرح بما سيحل لنا قريبًا وانطلق إلى مقر استخراج كنزنا..

وصل الشيخ ومعه أصدقائه ثم جلس مثلما فعل في المرة السابقة غير أن الحارس قد تساهل معه فكلمه بعض الكلمات ووعده بأنه سيحرره من حراسة ذلك الكنز إلىٰ الأبد وأشعل البخور مثل المرة الماضية ولكن هذه المرة شعرنا بأن الأرض تهتز تحتنا حينها قشعر بدني هل يمكن أن يكون

الشيخ أخطأ في تلاوته لتلك التعويذة؟ أو ربما أخطأ في حواره مع الحارس فغضب عليه وسيهلكنا عم الذعر المكان والرهبة..

هزني أحد اصدقائي قائلًا: أنه شخصًا يعرف خطورة مايفعله، ثم اهتزت الأرض تحتنا ورجت رجة قوية ورأينا صندوقًا كبيرًا يشبه الذي يدفن فيه الموتى ولكنه ذهبي اللون صعد إلىٰ الأعلى ثم دار دورتين في الهواء ونزل بهدوء أرضًا بعد أن استوت الأرض أسفله، ونحن نشاهد ذلك لا نتفوه بأي كلمة!! لا نعلم ماذا يحدث؟ كأنه أمر لا يصدقه عقل، ثم هدأ الوضع شيئًا فشيئًا ووقفت أمام الصندوق مستعدًا لفتحته، الأمر مرعب ولكن المنظر جميل، لون الذهب الامع بدا يغطي أعيننا، تقدمت نحوه وفي قلبي فرحة وسعادة لم أشعر بها قط! ولكني وجدت أحد أصدقاء الشيخ يقول: توقف!! لنفتحه معًا، فربما تطمع فيه وتملك حق فتحه ولا تعطينا شيئًا!!

-لما تقول ذلك؟! رمقه صديقه بغضب قائلًا:

-لا تجعل الطمع يعميك ويدخل قلبك

كنا قد اتفقنا مسبقًا، ولكني غضبت منهم وقلت لن يأخذ أحد شيئًا من الكنز سواي هذا بيتي وهذه ثروتي وكل ما في المنزل لي ولن أتقاسمه مع أحد منكم، ثم نشأ جدال بينا وبدأنا بالنزاع حتي أمسكنا برقاب بعضنا بعضًا والشيخ يحاول تهدئتنا..ثم تقدمت باتجاه الصندوق وفتحته.. رأيت ذهبًا وفضه ولؤلؤ وكل ما تمنيت من ثروة! ماكنت أصدق ما أرى ولو شاهدها أحدًا لظن أنه في حُلم كاذب! وقفنا جميعًا مذهولين وهب

الجدال مرةٍ أخرى بيننا أمسك أحدنًا بعضًا من الذهب في يده وأخذ يقبل الصندوق، ولكني أبعدته بقوة وامسكت بياقه قميصه و بدأت أنفسنا الشريرة تدعونا للتخلص من بعضنا البعض فتقاتلنا، ولكن في لحظتها شعرنا باهتزاز في الأرض مرة أخرى ووجدنا الصندوق ينزل وينزل.

وتحول كل ما فيه إلى رماد،، بعد أن كاد أحدنا أن يسقط وتبتلعه الأرض لولا أننا أنقذناه ..

صرخ الشيخ لقد تغيرت النوايا، أخبرتكم أن النية هي التي تحدد! وصدقها يجعل الكنز يخرج ويظل للأبد غركم الطمع وأصبحتم بلا جدوىٰ مثلكم مثل التراب ثم أمسك قليلًا منه ورماه على وجوهنا قائلًا ضيعتم ما حصلنا عليه بسبب غبائكم أنتم أيها الحمقى وأشار إلينا ،مهددًا بقوله(ستندمون)..وتركنا وذهب أمام عيني فطردت من بقي منهم

..ولكنهم تجمعوا من دوني وأعدو خطة للانتقام كلفتهم أن يخطفوا ابني تعويضًا عما حدث لهم من تحطيم للآمال، ذهبت حينها إليهم والشرر يتواقد في عيني، رُحت ويداي خاليتان، ذهبت لأرجع ابني تعالت الأصوات واشتدت المشاجرات بيننا وكانت نتيجة ذلك تلقى ابني طلقة رصاص جعلته يسقط قليلًا دخلت الشرطة حينها وفضت النزاع ولكن ما بالأمر حيلة فحتى إذا حُل النزاع فقد رحل الصغير، لم أتمكن من إخبار زوجتي بما حدث؟ ولكنها ستعرف لا محالة!!.

****

هكذا بدأت رحلتي معيدًا في كلية الزراعة..وبدأت تدريبي الذي لم يطل كثيرًا فقد كنت مُلمًا ببعض الأمور ولدي دراية في مجال التدريس كما أنني أفهم مجالي وأحبه وذلك ساعد أن تكون فرصة تدريبي بسيطة وسهلة،، وبدأت السنة الجديدة وبدأت أنا معها تعرفت على ذاك وتلك من المدرسين المساعدين والأستاذة الأكبر مني ورأيت أمورًا استحسنتها وأمورًا ربما لا تليق بمكانٍ يتلق فيه الطلاب العلم، بل أنه لأمر مشين أن يحدث ذلك، كنت أدافع ولكن الجميع كان يقف ضدي ويقول أنت في بداية طريقك، اهتم بإصلاح نفسك لا الآخرين، فأصرخ قائلًا:

-ولكن هذا لا يجب ولا يصح كيف لأحد أن يستخدم صلاحياته في أمور كهذه؟! ولكني أسمع هل رأيت ذلك بأم عينك؟! فربما يكذبون ! ولكن إذا كذبت طالبة وأخرىٰ فهل الجميع كاذب..!

قالها لي أحدهم ذات مرة: تضعنا الحياه أحيانًا في اوضاع صعبه لا نستطيع أن نتخطاها إلا بالتخلي عن بعضًا من القيم والمبادئ التي لطالما دافعنا عنها يومًا وها هو الآن يسير علىٰ هذه المقولة .

****

الشمس تقبل على الغروب والليل يتعجل في المجيء،بقيت دقائق بسيطة ليستيقظ الوقت المليء بالحنين والشجن والذكريات الأليمة، ذكريات تزيد الشوق شوقًا والحنين حنينًا، الليل ليس فقط للعشاق، بل لكل من فارق..أب وأم، أخٍ وأخت، ابن وابنة، الليل تجتمع فيه الهموم كسحاب

ملبد بالغيوم تكثف فيه البخار وأن له بالنزول فينزل قطرة قطرة ونقطة تلو الأخرى لتتذكر ألمًا، ونثقب جرحًا،،

رحل الجميع من جوراي لم يبقَ لي سوى منى وزوجتي التي تتحاشي كلامي وترفض مسامحتي، أخبرتها مرارًا أن الطمع أعماني ولم ألحظ إلا في النهاية، ولكنها لم تسامحني!! كيف تسامحني وأنا أجلد نفسي كل يوم على ما حدث؟! كيف تسامحني وأنا لم أتمكن من مسامحة نفسي؟!.

لا أنكر أن هذا الحدث بفضله تبدلت أحوالي ولكني فقدت كل ما يجعلني ابتسم في الحياة، حتي إنني أحيانًا أتضرع إلى خالقي أن يُعجل لي بالرحيل، لكم عز عليَّ أن أفقد أبنائي فأصبحت كشيخ عجوز لا حيلة له في الحياة..يعود آخر اليوم ليبكي حاله، ثم يغط في نومًا عميق بعد أن يغلبه النوم، ويستيقظ صباحًا فيذهب لعمله، أما زوجتي فلا أراها إلا أحيانًا كأنها تناستني، ومنى تضع لي الطعام ولا نتحدث سوى ببعض المرات، وحينما تكاثرت عليَّ همومي وازدادت متاعبي قررت الرحيل حينها شعرت حقًا أن نياط قلبي قد أنكسر!! فقررت أن أجعل روحي تستريح إلى الأبد...

***

يالهذا اليوم المنكر الذي علمنا فيه برحيل صغيرنا "كريم"

بكت خالتي وبكيت أنا قضي الأمر لقد كتب علىٰ أسرتي أن تظل حزينه طوال حياتها ، طبع الحزن طباعة ولم يفارقنا أبدًا ، وكتب علينا السواد

طوال الدهر ، لا نتجمع علىٰ عشاء الا وراقت الدموع ولا نفيق من النوم إلا وراقت دموعًا أخرىٰ ..كانت كلما رأت والدي تمسكه من ثيابه وتقول :لماذا أفسدت كل شئ ؟! لماذا أفسدت الشئ الجميل في حياتنا ؟ كان ملهم سعادتنا وبهجة حياتنا بسبب طمعك فقدت صغيري !
ولكنه لا يجيب عليها بل يبعدها ويدخل غرفته باكيًا حاله

****

يبدو أن الموت ممتع فكل اللذين أحبهم يرحلون دون عودة، خسر أبي دنياه وأخرته مات نادمًا على ما فعله بنا، أفعاله أدت به إلىٰ الانتحار وصدقت أخيرًا مقولة "الموت ملئ بالحماقات" ولكنه في النهاية موت!!.

***

بحثت عن عمل لأجمع نقودًا تكفي جامعتي أما قوت يومي فستتلقى معاشًا يكفينا، ولدينا بعض المال وضعناه حرصًا لما سيحدث بعد ذلك..وجدت عملًا بأجرًا زهيد وبدأت أذهب إليه كما أنني أذهب لجامعتي حاولت المواظبة والتنظيم ونجحت بقدر يسير، ولكن ما بدا في الماضي بات يأت في الحاضر، تفوق حدثي وأصبحت أكثر شجاعة وقوة ربما لأن ما حدث لي لم يكن بالأمر الهين، لم أعد أرتدي تلك الورقة التي كتبها لي الشيخ فوزي بانتظام ولكني في الليلة التي لا أرتديها أشعر وكأني في عالم آخر، أستطيع أن أسير وأمضي بين الأزمان، ليلة أحلم بأمي

أراها وتحدثني وليلة بخالد وليلة بأخي كل من أعرفهم وماتوا أراهم حتي ذلك الأستاذ الذي ضربني رأيته خر لي معتذرًا لم أكن أعلم ماذا يحدث لي وليست لدي الجراءة لإخبار زوجة أبي، راودني احساس بالخوف ولكني لابد أن انتظر تذكرت نصائح الشيخ حينما قال لا تذهبي مع أيًا كان في منامك، ولا تسمعي تلك الأصوات حاولي بأقصى جهدك، سدي أذنيك، ولكن الأمر الغريب أن تلك الأصوات لم تعد فقط في المنامات، بل عدت أرىٰ أشخاصًا حولي لا يراها إلا أنا، كأنني أصبحت جنية ولدي قوى سحرية، فاضطررت لإخبار أمي (زوجة أبي)التي لم تنتظر حينا وذهبنا لأحد الشيوخ الذي يعرف في هذه الأشياء، علمت فيما بعد أنه وسيط روحاني..

-لا يعقل هذا!! أنه أمر لا يصدق!! أخبريني كيف تتكون الصورة أمامك!!

-لا أعلم ولكني في وقت صمتي أرى الأشخاص والصور أتحدث مع أمي وأبي وأخي أتحدث مع من ماتوا حتي وإن كنت لا أعرفهم.

-هل يحدث معك هذا كل يوم؟!

-لا عندما أخلع تلك القصاصة فقط!! مللت منها وأود ألا أحملها، ما حدث سابقًا كان في الماضي ولكن يبدوا أن الماضي لا يود تركي لا في حاضري ولا مستقبلي.!أشعر أني مقيدة به إنه عبء ثقيل مبرّح أرجوك خلصني مما أنا فيه .

-أعطني تلك الورقة، فتحها، ثم كرر ما فيها عليّ وكتب تعويذة أخرى وضمها ثم أخبرني بارتدائها أينما ذهبت قائلًا:

-لا أود أن أخيفك ولكنك تتمتعين بقدرة على التنقل بين عالمنا الحالي وعالم الأرواح، لديك حارس يذهب معك أينما ذهبت يؤذي من أذاك ويفرح معك، محاطة به دومًا.

-بالتأكيد أنت تمزح!! كل ما تقوله ليس إلا كذبًا، ولكني في الحقيقة أتوهم تلك الخرافات قل ذلك أرجوك.

-أقدر لك ذلك، يمكنني أن أكذب عليك ولكن هذه الحقيقة وأعتقد أن ما يحدث لك له علاقة بما حدث سابقًا، اكتسبت تلك القوة لأنك نزلت إلى أبعاد مختلفة كما ذكرت.

-أرتدي تلك الورقة لن تضرك وسأحاول أن أجد لك حلًا في القريب العاجل.

-نظرت إلى وجه خالتي بعدم تصديق وقررت المجازفة لن أرتدي تلك القصاصة ولا الأخرى وسنرى ماذا سيحدث؟!

رجعت إلى المنزل ودخلت إلى غرفتي وكلي ثقة بأني سأنجو وسأثبت أن الجميع كاذب وأنها مجرد إدعاءات لا أساس لها من الصحة .

استسلمت للنوم حينها ورأيت ذلك الكابوس، تمثل الجميع في وجه أمي عشرات الأشخاص أمي.. الجميع يود لو أذهب معه، هنا وهناك اسم يتردد تعالي يا برنبال!! انقذيني يا برنبال!! وضعت يدي على أذني حتى لا

أسمعهم وضممت قدمي لصدري واضعة رأسي عليها ثم صحوت صارخة لاااااا..

لا أعلم لا ينادوني برنبال حتى حينما أجبتهم لست ببرنبال قالو:أنت هىٰ!

ناديت حينها علي خالتي وأخبرتها بما حدث فنهرتي لما فعلت ،

ومنذ ذلك الحين وهي حريصة كل الحرص أن أرتدي تلك الورقة أينما ذهبت لعملي والجامعة لكل مكان حتى أثناء نومي تتأكد من وضعي لها، مرت سنواتي في الجامعة، لم أرضَ بالتنازل عن حلمي وحققت الأول بجدارة وها هي الآن آخر سنة لي تمضي ومعها سأنال كل ما صبوت لأجله.

****

أغاثة سحرية

-مني!! أنهيت كل ما يخص الsection تساءل محاضر المادة عما أفعل

-نعم يا دكتور، لقد فحصت جميع العينات وكتبت كل الملاحظات.

-جميل..كل ما فيك جميل يا منى !!

نظرت إليه مستغربة طريقة حواره ولكنه اكمل ..

-أتمنى أن تحضري قبل انصرافك من الكلية لأعطيك بعض الأوراق لتقديمها إلى زملائك.

-ولكن أحمد هو المسؤول عن وضع الأوراق الخاصة بالمواد في المكتبة! أجبت في حنق

-لا !! أنني لن أعطيها إلا لك..!

-نظرت إليه وقلت:

حسنًا بأذن الله سأفعل.

رجعت إلى زملائي كلهن كن يحسدنني لأن دكتورًا جامعيًا يتحدث إلي ولكنهم لم يراعو طريقة حديثه، لابد أن أظن به ظنًا حسنًا فمعظم الأساتذة يتعاملون بلطف أحيانًا ولكن طريقته أقلقتني!! ..كيف يقول دكتور لطالبة كل ما فيك جميل بكل تلك الوقاحة! ألم يحسب أني بعمر ابنته؟

الأمر بات مملًا ولم أعد أحتمل أكثر من تلك الأفعال السيئة خصوصًا من ذلك الوقت التي حدثتني فيه زميلتي عما حدث لصديقتها في المدينة الجامعية، وكيف رجعت إليهم؟ وقد كان الحوار بيني وبينها..

-منى! أتذكرين صديقتي ريم التي أخبرتك عنها؟

-تقصدين التي تسكن معك بغرفة المدينة!

-نعم، هى .. لقد حدثت لها مصيبة.

-ماذا؟

-أجل، أقسم لك .. في أخر يوم حينما خرجت من المدينة برفقتها ذهابًا للجامعة كنا نتحدث في الطريق فقالت: إنها تكره جمالها، فكل مكان تذهب إليه يكون سببًا في المشاكل التي تحدث لها، قالت إنه مثل نقمة!

-ولما تقل ذلك؟ عندما رأيتها أول مرة بُهرت بجمالها.

-لست وحدك، فجميع من يراها يفتن بها، حتى إن أخر مرة حدث جدال بين معيدين بسببها.

-ماذا؟!

-أجل، هذا ما حدث، قالت لي حينها أنها ستذهب اليوم لمكتب الدكتور الذي يدرس المادة لتطلب منه أن يغير اسمها ل section تدرس لها فيه معيدة وليس معيد.

-وهل رفض؟

-لا، لم يرفض.. ولكنه حاول الاعتداء عليها.

-ضحكت حينها باستهزاء.. بالتأكيد تمزحين!

-لا. لست أمزح.. فلقد منعته، وضربته بأحد التحف التي كانت علي مكتبه.

-ثم ماذا حدث بعد ذلك؟

-لم يحدث شيء، ذهبت لرئيس الجامعة وقدمت محضر وذكرت اسمه فيه.. ولكن بسبب نفوذه العالي خرج منه مثلما تخرج الشعرة من العجين.

-يا القذارة!! بدون معاقبة، يستحق أن يفصل من الجامعة.

-لا لم يفصل، فقلد فصلت هي.. والسبب في ذلك أنها لم تتقدم بسحب الدعوة القضائية، المشكلة ليست في ذلك!! بل فيما قاله الدكتورعنها.. تخيلي أنه قال:

أنها ساومته على نفسها!!

-ماذا؟!!

-ولم يكتف بذلك؟ شوهه سمعتها بين الطلاب، وتم فصلها من الجامعة والمدينة.

-وماذا فعلت لكل ذلك؟

-لم تفعل سوى أنها قدمت شكوى ضد شخص مسئول ولديه واسطة! حاولت تشوية سمعته فدمر حياتها!

-لا أفهم، كل ذلك!! أيعقل أن يكون في مكان مقدس يأتي الطلاب فيه للعلم وتحدث فيه كل تلك المهزلة؟!

-يا منى .. تلك المهزلة لا تقدر بما يحدث، ولا تظلم فيه سوى الشخصية الضعيفة، التي لا تملك من الدنيا سوى نفسها!!

-كيف انقلبت الموازين هكذا؟!

-تعرفين زوجة ذلك الدكتور علمت ولكنها لم تنطق، ولم تحاول أن تستفسر عما حدث.

-أهذا يصدق؟

-نعم، فلقد علمت من صديقاتي، أنها ليست المرة الأولىٰ له وليست الأخيرة كذلك.

فالشخص الذي لم يعاقب منذ أول جرم، سيرتكب غيره الآف المرات، إيمانًا منه بأنه لن يعاقب!

دار ذلك الحوار في مخيلتي بمجرد ذهاب الدكتور من أمامي، شعرت بالخوف قليلًا ولكني لن أسمح لنفسي أن يحدث لي مثلما حدث لتلك الفتاة..

طلبت من زميلاتي أن يذهبن معي ولكن الجميع رفض!! فذهبت وحدي ولكني طلبت من زميلي مجاهد أن يقف خارجًا وبالفعل فعل..

طرقت الباب ودخلت وقدماي ترتجفان..

-آسفة على تأخري

-تأخري كما تشائي ولكنك في النهاية جئت.

اجلسي..!

-جلست ثم سألني عدة أسئلة تخص المنهج الدراسي، ثم تطرف لأمر تعيني في الجامعة فأخبرته بأسرتي..

-تقصدين أن والدك متوفي!!

-أجل، رحمة الله.

-وليس لديك أي إخوة

-تمامًا

-جميل جدًا

-دكتور!! ما هو الجميل في ذلك؟!

-لا شيء، ولكنك تعلمين أن الجامعة لن تعين أي فردًا هكذا.

-ولكني الأولى على كافة الأقسام وهذا سيجعلني أُعين إجباريًا.

-وما أدراكِ أن الكلية قبل إظهار النتيجة لن تبدل الأرقام يمكن أن يحدث ذلك بسهولة وتكونين بالمركز الثانِ أو الثالث، عندها تناسي أمر تعيينك.! ومن ظروف عائلتك لن تتمكني من رفع قضية للمطالبة بإعادة التصحيح وحق التعيين.

-ولكني متقدمة على المركز الثان بدرجات عدة، حتي وإن لُعب بالدرجات سأظل سابقة لها.

-يعجبني ردك وثباتك، ولكنك لا تفهمين النظام، ستجدي الأمر محسوم ولن تتعيني مهما حدث.

بدا على وجهي الحزن ووجدته يكمل..

-يمكنك أن تتعيني بشرط واحد أن تصبحي زوجة لدكتور!

-نظرت إليه متعجبة ووجهي يتساءل!!

-نعم!! أنا، ثم اقترب مني خطوة وخطوة قائلًا:

-زوجتي في الخباء وسأدافع عنكِ حتى تتعيني.

-ولكنك متزوج، كما إن الفارق العمري بينًا كبير، أنا بعمر ابنتك!

-أووه، عمر ابنتي أو أصغر لا يهم، حددي مصيرك الآن تصبحي زوجتي وتعيني أم تنسي أمر تعينك للأبد؟

-لن أفعل ذلك، ولا تلك!!

-منى!! فكري، لن تجدي زوجًا مثلي.

-زوجًا ماذا؟ أتساومني علىٰ نفسي وتقول لي زوج ؟ كيف أتزوج رجلًا

بعمر والدي؟!

-ترجعين لفارق الأعمار مرة أخري، وتلك العقلية المرضية ظننتك مثقفة، فكري جيدًا فلقد فكر غيرك سابقًا وعاد إليّ بعد فوات الأوان.

-تقصد أنك ساومت غيري سابقًا؟

-فرد علي متعاليًا:

الكثير ..ولكني لم أتزوجهن للأسف!! بعن أنفسهن لي مقابل النجاح والمال، ولكنك تختلفين، أنت سأتزوجك، لديك مستقبل باهر أرى ذلك في عينك.

-ولكني لست مثلهن، أنت وأمثالك تفسدون المجتمع! إذا كانت زوجتك لا توفر لك احتياجاتك فطلقها، لكن لا تفعل جرمًا كالخيانة، إذا كنت رجلًا ذو مكانة وسلطة فلا تستخدمه على حساب من لا سلطة له!! اسمع يا هذا؟ ولن أقول لك دكتور! لأن ذلك اللقب لا يستحقه إلا من يرفع قيمة الاسم ليس من يدنيها!! لقد سمع الجميع حديثنا سويًا! آسفة التكنولوجيا تسيل وتسري في دمائي.

-ماذا؟

-انتظر!! سأكمل، كنت خائفة قليلًا ودار حوارًا بيني وبين أحد زملائي أخبرته عن عدم ارتياحي لطلبك مني الحضور لمكتبك رغم علمك أننا ننتهي من اليوم الدراسي متأخرً، فطلب مني أن أفتح موقع التواصل الاجتماعي Facebook وحينما تبدأ مناقشتك لي فتحت ال live

فحضر جميع الطلاب في مجموعة القسم حديثنا وللأسف الشديد كل ما ذكرته بات الأن مسجلًا ولم أسمعه وحدي بل سمعه الجميع!!

-أنت كاذبة بالتأكيد؟!

-لا ابتسم للكاميرا، سأجعل هذه الصورة دليلًا لصدقي!!

-ولكن سأرفع دعوة بأن هذا الفيديو أو اللايف ليس إلا فوتوشوب. ولن يصدقكم أحد..

-لك هذا ولكني سجلته أيضًا بهاتف مجاهد، بالتأكيد لن يُكذب أحدًا شخصًا كمجاهد، كما أن لجنة التحقق من الفوتوشوب حتي لو رشوتها الأف الجنيهات لن تبرر فعلتك، فكر جيدًا!!

-يا لك من غبية حقًا سترسبون جميعًا، لن ينجح أحدًا منكم هذا العام.

-حسنًا.. نرسب نحن وتضيع أنت!! تعرف أن في قسمنا أناس لديهم واسطة ويعرفون إعلاميون وقنوات تلفاز.. تصور معي أن يكون اسمك متصدر مواقع التواصل الاجتماعي .. دكتور يحاول الاعتداء على طالبة من طلابه، بل وساوم غيرها الكثيراً يا الخزي!! قالتها وابتسامة نصر على شفتاها

-اخرجي من مكتبي الآن!! اخرجي!!

-حسنًا..! مشكلتي أني مهذبة مهما ساءت بي الظروف، وسأخرج ولكنك يجب أن تفكر فيما قولته لك، وأظن أنك ستفكر مرارًا.

****

-آسفه لك يا مجاهد عما حدث؟ لقد ذكرت اسمك، قُلت معتذرة

-لا يهم، المهم أنك بخير.. أعرف معيدًا سيساعدنا بالتأكيد.

أجاب مجاهد:

-معيدًا!! أصبحت لا أثق بكل من في الكلية !!

-لا تخافي فقد حاول مرات عدة كشفه ولكنه لم يملك دليل والآن سيكون لديه واحد.

وفي اليوم التالي ذهبنا سويا ورويت كل ما حدث لذلك المعيد، وجعلته يري الفيديو والتسجيل، ولكنه لم يكن كافيًا، فيمكنه أن يكسب الدعوة التي توجه ضده.

-ولكن يمكن أن نطلب من الطالبات التي حدث معهن مثلي وتأذين أن يقدمن شهادتهن!! أقترحت

-ولكن قد يرفضن، أو يخفن من الرسوب!!

-لكني، لن أخف وسأقدم الدعوة بنفسي!!

-دكتور!! هل سيؤثر ذلك علينا حقًا؟ سأل مجاهد

-لا بالتأكيد، حتى وإن رسب أحدًا منكم فلو رفع تظلم بالتأكيد سيحصل على درجاته إذا كان قد أجاب بالفعل، ولكني أشعر أنه لن يفعل ذلك.

-أود أن أعرف أنا أيضًا لما شخصًا تعدى ال٦٠ من عمره ويظل في الجامعة لما لا يبقي في منزلة؟!

-الجامعة تمنحهم فرصة للتدريس بعد التعاقد ويطلق عليهم أستاذ دكتور

متفرغ فلتتفائل خيرًا.

-أتمنى أن يحلها الله حقًا.

***

طلب مني ذلك المعيد أن أتقدم بشكوي لرئيس الجامعة بأسم ذلك الدكتور وشجعني حتى لا أتنازل عن حقوقي..

-مني، إن ما تفاعليه لن يكون ضارًا لك وتذكري أنك من خلال ذلك ستحمين غيرك من التعرض للأذى، تذكري لو فعل بك شيئًا ماذا سيكون وضعك؟! الكثير من الفتيات وقعن تحت رحمته ولكنه تخلي عنهن وأيضًا لم يمتلكن جراءة كافية لتقديم الشكوى..

لا أعلم لما وافقت على كلامه، هل لأنه لم يخطئ فيه وأن كلامه كله حقيقة؟ أم لأنني لم أعتد التنازل عن حقوقي!!

بدأ الأمر يتطور حينًا وحينًا وتقدمت بالشهادة في جلسة خاصة بالكلية ووجدت أكثر من طالبة تبدي شهادتها أيضًا يبدو أن الكثير منهن قد تأذي إن لم يكن جسديًا ولكنه تأذي نفسيًا..

***

لم أصدق حينما قبلت مني طلبي ورفعت شكوي ضد ذلك المحاضر (الدكتور)، لا أنكر أنني أعجبت بطريقة تفكيرها وشجاعتها وأعتقد انها ستنجح في عملها ..فهذا المكان يحتاج الكثير من الأشخاص الصالحين لا واسطة ولا انحلال، أتمنى أن يبقىٰ الحرم الجامعي نظيفًا خاليًا من

الأستاذة عديمي الأخلاق والرحمة..

وأعتقد بأن مني ستكون صالحة وأنا سأدعمها لتتعين ليس لكوني معيدًا ، ولكنها تستحق تعبت واجتهدت فهل تحرم من حلمها لأجل عائلتها ..المظاهر... المظاهر... المظاهر كل ما يهم الأشخاص مظهرك وأبن من؟ ومن تكون؟!

على أي حال أنتهى العام الدراسي، والآن ستتولى منى التكليف وتتعين بصفتها الأولى على كليتها.

أتصلت عليها لتجيب..

-مرحبًا بك يادكتور سليم، كيف حالك؟

-بخير الحمد لله، هل تم الاتصال بك من الجامعة؟

-لا لم يتصل بي أحد، ولكني عرفت بأني حتى وإن كنت الأولي فلن يسمح لي بسبب أمور العائلة قالها لي أستاذا بالحرف..

"أبن الدكتور يصبح دكتورًا، وابن عامل الزبالة يصبح زبال حتي وإن عمل بمهنة أخري"

-هل تمزحين؟! من قال لك ذلك؟

-لا يهم من يكون، علي أية حال تركت الأمر لله.

-منى!! أرجوك لا تفقدي الأمل تعالي غدًا.

-لقد تعبت وأخذت إحباطا بما يكفي.

-تذكري "نهاية التعب وصول"

-سأحاول، شكرًا لك.

حتى منى فقدت الأمل في تعيينها كيف أساعدها؟ لا يجب أن أرىٰ جهدها يضيع بلا فائدة.

أجل سأناقش الأمر مع أخي، هو أدرى مني في ذلك وبالتأكيد سيساعدني ..

وفي صباح اليوم التالي ..دخلت من باب الجامعة التي حلمت يومًا أن أكون بين أعضائها لست كطالبة تدخل وتخرج ولكني حلمت أن أكون رمزًا من رموز العلم فيها ..صعدت الدرج خطوة خطوة هنا نُديت معيدة المستقبل، وهنا ضمتني رفيقتي بلطف، هنا حضرت الدروس، وعند ذلك المدرج شرحت تحضيري، آه لتلك الذكريات لم أكمل سنة من تخرجي وشعرت بحنين قاتل، فكيف بعد أن أكمل السنه؟!

وقفت أمام الباب الذي عرفت من خلاله رفضي ..استأذنت الشخص الذي يقع في المقدمة علي مكتب وينسق المواعيد "سكرتير العميد" ولكنه أشار لي بالجلوس..ثم دخل وأعلم العميد بحضوري..

بعدها بربع ساعة من جلوسي بأنتظاره رأيته يشير لي بالدخول

وعندما دخلت لم يتحدث إليَّ ولكنه أجلسني ولأنتظر، وأنتظر، أعلم أنه سيفعل ذلك ليجعلني أشعر أني غير مهمة ولست بشخصية عظيمة ليحدثني، ثم قاطع شرودي.

-تعلمين يا ابنتي أن الكلية تحتاج أشخاصًا ذو مكانة اجتماعية لديهم

نفوذ، هل ستقولين لطالب أن أباك رجلٍ فقير؟! وأمك تعمل في ..ماذا تعمل أمك؟!

-تعمل في مشاريع صغيرة كالخياطة وتربية الدواجن ولكنها ستفتح مشروعًا كبيرًا لديها مهارة في ذلك.أجبت بأعتزاز

-ضحك قائلًا: سيقول الطلاب والدة المعيدة خياطة، أو مربية طيور!! تنازلي عن رأيك في التعيين فلن يُسمح لك..

-ولكن منذ متى وكانت الأمور تأول لهذه النقطة !!

منذ متى والجامعة تختار من بين الأهالي من يصلح، قل لي بأنك لا تود أن ينزعج منك صديقك لوقوفك جابني وتركك ابنته قل لي بصدق ولا تقترف وتخترع كل تلك الأوهام !

-عموما سأناقش الأمر مع رئيس القسم وأعتقد أنه سيرفض .

-ثم ضغط علىٰ الزر الموجة للسكرتير قائلًا:

هل هناك أحدًا ينتظرني؟.

-دخل السكرتير وطلب مني الخروج فخرجت مكسورة القلب والخاطر ..ورأيت اخا الدكتور سليم فتحاشيت النظر إليه.

****

كأنما حلت عليَّ سحابة داكنة وملأت سمائي، لم أشعر حينها الأ بحُلمي الذي قد سرق !!

سارق الحلم وسارق المال كلاهما سيان لربما يُعوض الثان ولكن الأول

لن يعود إليه حلمه أبدًا .

أتعجب لراحة النفس والضمير الهنئ الذي يشعر به هؤلاء اللصوص ولا يفكرون يومًا بمقدار الألم الذي يسببه فعلهم المشين ، مروا متناسين أنها دنيا فانية ومستقبل لا يعلم به إلا الله ! لم يتركوا لي فرصة سوىٰ عدم مسامحتهم فلقد جعلو حياتي سوداء!

ظللت أبكي طوال الطريق تمنيت حقًا أن أغادر من هذه الحياة، وإن ينتقم الله لي .لم أستطع العودة للمنزل فبقيت قليلًا في حديقة الكلية وحينها أتصل بي الدكتور سليم وتساءل عما حدث

-لقد قال لي أني لن أعين أبدًا!! أيضيع حلمي بسبب عائلتي؟ أيضيع بسبب فقري؟ قل لي أرجوك..

ولكنه لم يجب وتساءل عن مكاني وهل بمقدوري الذهاب إليه خلال دقائق ؟ أعترضت وقلت بأني لن أفعلها مجددًا وأهين كرامتي، ولكنه أصر عليّ حينها ذهبت معه وحينما رأني لم ينتظرني لأنطق بل جذبني من يدي قائلًا تعالي معي..

صعدنا مرة أخرى للعميد أشار هو للسكرتير فأذن له بالدخول على أية حال يبدو أن له سلطاته، فدخل وتحدث بدون حتي أن يُلقي تحية..

-ما بال تعيين مني واقفًا؟!

-سليم، أنت تعلم خطة الكلية، كما أن في السنة التالية هناك ابن الدكتور سعد وهو في نفس القسم الخاص بها فيمكن أن نأجل التعيين هذه السنة

والميزانية!

-ولكنك تعلم أن القسم بحاجة لمعيدين جدد، وبالنسبة للمرتب الذي ستأخذه، سنحل الأمر مع الجامعة إذا كانت هناك مشكله في الميزانية أساسًا!! أما لابن الدكتور سعد فلا أحد يعلم الأعمار يمكن أن يتوفاه الله، كما أن لديه جيشًا، كيف سيكون حال القسم هكذا؟

-سليم القسم يريد شخصًا ذو مكانة مرموقة لتزيد الرقي وليس لتجلب العار!!

-أصبح الفقر عارًا اليوم!! ألم تكن فقيرًا يومًا ما، كنت دومًا تقول :أنك بنيت نفسك بنفسك والآن ماذا عنها؟ أكنت تكذب علينا حينها!! حسنًا منى ستُعين إن لم يكن بموافقتك فسيكون إجباريًا فمخطوبتي لديها مكانة الآن!!وإذا لم تتصرف فسأستخدم نفوذي أنا أيضًا!!

-مخطوبتك!! تقصد أنك خطبت منى!!

--نعم، صل تلك الرسالة للأساتذة الذين رفضوها لمكانتها الاجتماعية، وقل لهم أنها ستصبح زوجة دكتور وسلفها دكتورًا ثم نظر إليه قائلًا:

يالخسارة ظننتك تختلف عنهم!!

ثم أخذني ثانية من يدي وأنصرف..

*****

وفي الخارج..

-ماذا قولت له؟! لقد كذبت وسيعلم أنها كذبه!!

-ومن قال لك أني أكذب؟

-هل.....

-نعم سنأت غدًا لرؤيه أمك.

-لا تصمتي هكذا، أعطيني العنوان.

أعطيته العنوان والخجل كاد يقتلني، لم أتوقع ذلك وليس بإمكاني رفضه، أنه حلم كل فتاة ولقد وهبني الله نعمة عجزت عن شكره عليها..

****

كيف؟! أخبرت تلك الفتاه انك ستتزوجها.تفأجئ أخي

-نعم ولما لا؟!أجبت

-ونادين ابنة عمك، ألم نتفق أنك ستتزوجها!!

-نادين لم أفكر بها كزوجة أبدًا، دائمًا ما أناديها أختي وهي لي كذلك!

-ولكن ماذا ستقول لعمك؟!

-أترك الأمر لي أخي ولكن أرجوك جهز نفسك لتذهب معي غدًا.

-دعنا نذهب الآن لبيت عمك ونرىٰ كيف ستمضي الأمور؟

تجمعنا حول مائدة العشاء كانت زوجة عمي تدللنا وتعد لنا ما لذ وطاب ولكن كيف ستتقبل ما جئنا لأجله يا تُري؟..

بدأ عمي الحديث ونظر لسليم قائلًا:

-يبدو أن هناك موضوعًا هامًا ظهر ذلك في عينك

دائمًا ما كان يعرف ما أفكر به فلقد تولىٰ تربيتي بعد وفاة أبي فأصبح

يعرفني من نظراتي.

-لدي أمر وأود أن أخذ رأيك فيه

-بالتأكيد قل ما تود كل أذن صاغية يا بني.

-أود أن أخطب..

-أنه لأمر طالما حلمت به يا عزيزي، ومن ستكون سعيدة الحظ؟!.

نظرت حينها إلى وجه نادين وزوجة عمي ثم عمي وكل من كان على المائدة نظر إلي ينتظر المفاجأة

-أود أن أخطب فتاة تدعي "منى" ستعين قريبًا معيدة جديدة بالجامعة.

سقطت كأس الماء من يد نادين كما توقعت تمامًا هىٰ تحبني ولكن إن تزوجتها فسأظلمها معي فكيف أرتكب جرمًا كهذا وأدمر حياة فتاة!!

كيف أجعلها سعيدة وفي قلبي فتاة غيرها لذا أفضل حل أن أخطب غيرها.

ولكنها هتفت:

-مبارك لك يا سليم، ثم نظرت لوالدها قائلة:

أبي بارك الزواج وسنذهب جميعًا لخطبة الفتاه التي يريدها سليم.

كم هي قوية تلك الفتاة! كيف تتخلي عن حبها لتجعلني سعيدًا. قولتها وفي نفسي مرارة لا أود أن أزعجها ولكني لن أجعلها أضحوكة أبدًا !

***

نحن لا نختار حينما نحب ولا نحب حينما نرغم على الإختيار، ولدت هكذا وأنا متيمة بحب سليم، منذ زمن وأنا أسمع كلمة سيكون زوجك

يومًا!!

ولكني لم أكن على استعداد أن أفقده يومًا، أو أن أراه مع فتاة غيري، ولم أكن مخيرة في أمري فليس من حقي أن أفرض نفسي عليه، أتساءل كيف لم يشعر بحبي له؟! كيف لم يلحظ اهتمامي به؟! كيف لم يرى تلك القائمة الطويلة من طعامه المفضل التي نحضرها له والكتب التي يحبها وشعار الأهلي الذي جمعتهم خصيصًا من أجله، أعترف أنني كنت أشعر من البداية بأن قصتنا لن تكتمل، كل شيء يؤكد ذلك، تتحاشىٰ التحدث عن أي شيء يتعلق بزواجك ولكن لما اليوم تحدثت بكل ثقة؟! هل أحببتها؟ ولكن متىٰ حدث ذلك؟، في الأونة الأخيرة كنا نتناقش في كل شيء كيف لعب النادي الأهلي؟ ماهى صفقاته الجديدة؟ وكيف هى حال الكورة الأوربية؟..تُذكر تلك المرة التي شاع فيها خبر اعتزال محمد أبو تريكة؛ ولكنك حينها أخبرتني ألا أصدق الشائعات.. فلماذا لا يكن خبر خطبتك شائعة أيضًا!! كنت تأخذ رأيي في كل ما يخصك فلما لم تأخذه هذه المرة؟!

كنت روحًا لي فكيف سأتخلى عن روحي، أخبرني هذه المرة فقط!،كيف ينال المرء شيئًا لا يريده؟!

تلك هىٰ حال قلوب الذين يحبون أشخاصًا من طرفٍ واحد، تبقىٰ قلوبهم مُعلقة لا هىٰ ترتاح ببعدهم ولا حتى بالبقاء جانبهم، كيف لم أتمسك بك ؟ كيف تركتك تضيع من يدي رأيت فيك ذلك الجواد الذي

يمضي بحصانه الأسود ليختطف الأميرة من قصر والدها لتكون ملكة في قصرة ، كيف تركتك تمضي دوني؟ أعترف هذه المرة أيضًا جبنت !! جبنت من الإفصاح عن مشاعري، جبنت حتىٰ من أبدائها ، حتي حديثي معك تغاضيته، ولربما صدرت وجهًا ليس لي حتىٰ لا أتعلق بك، ولكني أقسم لك بأن داخلي كان يريدك وبشده، أعلم أنك لم تقرأ تلك الكلمات ولن ترأها أيضًا حتىٰ وإن ظهرت كشعاع شمس لدي البعض فهىٰ أمامي في ظلمات حالكه إلىٰ أن تشعر بها أنت؟ وأعلم أن هذا لن يحدث فلقد تركتك تمضي دوني وخسرت يا سيدي ..!

لم يقترف سليم خطأ بحقي ولكني شعرت أنه مدين لي باعتذار...

****

ها أنا اليوم أرتب لزواجك، ذهبت برفقة مني لشراء كل ما يلزمها وحينما تعبنا من التنقل بين الأماكن وجدنا مقهىٰ نرتاح فيه قليلًا..

-أخيرًا، لم أكن أتوقع أننا سننتهي اليوم!

-فليجعلهم الله مباركين عليكم.

ابتسمت حينها قائلة:

اللهم آمين، سأظل أنتظر اليوم الذي تصبحين فيه عروسًا لأرد لك معروفك.

-كنت سأجيب من المفترض أن أكون مكانك ولكني تداركت حديثي فأجبت عليها بابتسامة فقط.

-يا فتاة، لما لا تتحدثين؟! هل هناك ما يزعجك؟

-لا، لا يوجد ما يزعجني، ولكني سرحت بأفكاري قليلًا.

ثم تبادلتا الابتسامة وكل منها تفكر في أمر ما..

"عطايا الله أعظم مما نتوقع وأفضل مما نظن"، فلم أكن أتوقع أن يهبني الله زوجًا ويجعل نتيجة تعبي تعييني بالجامعة.

ظللت أفكر في حياتي القادمة ونادين تفكر كيف ستظهر بشكل سعيد برغم كل ما يحمله قلبها من الحرائق المشتعلة؟!

"صدق الأديب الرائع نجيب محفوظ حينما قال:

"كيف السبيل إلي النسيان، وكل تفاصيل الحياة مملوءة بهم!!"

كل ذلك العالم الكبير لم يستطع أن ينسيني حب سليم ولم يستطع أن يجعلني أكف عن تحسري لفراقه، كنت عازمة أن أضحي بكل شيء، وأي شيء حتى أحصل عليه ولكنه في النهاية لن يكون لي!! قررت أخيرًا أن أسافر للولايات المتحدة الأمريكية وأتناسى أمره ذلك هو الحل الوحيد.

ينتهىء الزفاف وأحضر كافة أوراقي، سيرفض أبي ولكني أعرف كيف سأقنعه بكل السبل!.

****

-كان لا بد أن أتحدث مع نادين لأشعر ببعض الراحة حيالها..

-نادين!!

-نعم! ماذا تريد؟!

-هل يمكنك أن تنظري إلي حينما نتحدث؟!

-لم يعد باستطاعتي ذلك، لن تفهم ما أشعر به! ولن تفهمه أبدًا!

-أشرحيه لي!! فلتحدثيني فقط! قولي لي ذلك، أخبريني بأني ظلمتك! أخبريني بأنك أحببتني كثيرًا ولكني تجاهلت حبك لي وخطبت غيرك!!

-أنظر!! كيف تتكلم عن الأمر بكل تلك السهولة؟! سليم تذكر حينما شعرت بخيبة كبيرة حين رفض تعينك!! أخبرتني أنك شعرت بتمزق لكل أحلامك! أنت كنت في أحد الأيام حُلمي وها أنا الآن أخسرك!

-ولكنك تستحقي أفضل مني!! لم أرد أن أظلمك معي!!

لم أستطع أن أراكِ في أحد الأيام زوجتي، ولو فعلت كنت سأظلمك ، لن تحصلي على ما ترغبي فيه من سعادة معي!!

-كنت أنت فقط سعادتي! وبكت

-أرجوك لا تبكي، نادين تفهمي ذلك! لم أكن أود أن أكون سببًا في جرحك يومًا.

-ولكنك فعلت!! ثم مسحت دموعها سريعًا وقالت:

على أية حال سأرحل من هنا لتنعم بحياة سعيدة!!

-نادين! ترحلي؟

-نعم، لا أود إزعاجك ويمكنني أن أنسى ما حدث هناك ولعلي أجد شريك حياتي؟

-ستجدي الأفضل، ولكن هل ستجدي الراحة حقًا بذهابك؟!

-أجل، تمن لي الخير.

-لن أنساك أبدًا.

-ولكنك نسيتني!! نسيت تلك الطفلة التي تعلقت بك، وأمسكت بيداك هامسة "عد إليَّ سريعًا"

لم تلق بالًا لدقات قلبها المتسارعة حينما تصلها رسالة منك، أو مكالمة لبضع ثوان !!

نسيتني بحق !!

ثم انصرفت باكية.. لم أشعر بسعادة لغيابها كانت مثل أختي الصغرى، لا أصدق أنها سترحل!! أتمنى لو أنها تسامحني..وتنسىٰ ما حدث!

****

تم زواجنا وحقق الله لنا كل ما نرجوه من آمال.

سافرت نادين بعد الزفاف بوقت قصير، منىٰ وأنا أصبحنا أبًا وأم لطفلة جميلة أسميناها فريدة كنا سنسميها "نادين" لولا أن نادين رفضت قائلة: أنها تود أن يكون اسمها فريدًا في العائلة واقترحت علينا "فريدة" لم نستطع أن نرفض لها ذلك، فقد كنت أشعر حيالها ببعض الشفقة!.

مارسنا عملنا بكل إتقان حصلت على الدكتوراه أخيرًا وحصلت منى على الماجستير كما أننا لن ننسى صدقنا للعهد الذي قطعناه سويًا بأن نحاول أن نطهر الحرم الجامعي من كل تلك المخالفات التي تسعى لإفساد

اسمه.. بعد ترك ذلك الدكتور لعمله وتفرغه لحياته الخاصة، جاءت أمامنا كارثة أخرى ولكنها أقوى تأثيرًا على الطلاب جميعًا..

دكتور جامعي يزرع المخدرات في مزرعة الجامعة!!

-سليم!! أنها لجريمة بشعة قالتها مني !!

-أعلم ذلك ولكني عرفت اليوم ذلك حينما رأيت تلك النبتة في يد بعض الطلاب.

-ولكن، كيف جاءت إليهم؟

-جاءت من المزرعة!!

-المزرعة ،تقصد الخاصة بالكلية؟

-نعم، تمامًا.. يزرع الدكتور مايكل نبته الخشخاش بهدف الدراسة، ولكنه يستعملها لأغراضه الأخرى.

-وهل يعرف أحدًا بذلك؟ فربما لديه أذن، ويمكن أن يكون استخدامها فقط في أبحاثه.

-كنت معتقدًا ذلك ولكنه يزرعها لإستخدامه الشخصي كذلك، وللأسف الشديد بعض الطلاب يقتلعوها وينجذبوا لها.

-يا إلهي!! إن حدث ذلك فسيدمن الطلاب ويدخلوا في مشاكل الإدمان الخطيرة.

-ليس ذلك فقط!! ولكن إذا علم رئيس الجامعة يمكن أن تحرم كلية الزراعة من المزرعة كلها لحين فحص كل النباتات، وتتوقف جميع

الأبحاث الجارية.

-وماذا ستفعل؟

-لقد فعلت، نزلت إلى المزرعة وبالفعل رأيت بعض النباتات المخدرة وقمت بتصوريها في مناطق شتى، ويبدو أنه ليس المتورط الوحيد في ذلك؟

-تقصد أن لديه صحبة!

-بالطبع!!

-هل رأيت نباتات أخرى غير تلك النبتة في المزرعة أم لا؟

تساءلت:

-بالتأكيد فعلت،كنت قد أجريت بحثًا عن كل تلك النباتات وأعرفها جميعًا ورأيت بعضًا منها

-هذا سيستدعي أن يتم تقديم شكوى لعميد الكلية؟

-لا، لن نفعل الآن لابد أن نعرف من الرفقة الذين يدعمونه أولًا فلربما كان العميد جزءًا منهم!!

-ما يقلقني أن للجميع هنا سلطاته، وكل فرد لديه معارف هنا وهناك وإن تسرعنا ستنقلب الأمور ضددنا.

-أذن برأيك ماذا نفعل ؟

-يمكنني أن أزور المزرعة غدًا لأتصفح أكثر كل الأراضي الخاصة بالأقسام.

-وبما سيفيدنا ذلك؟

-سيفيدنا كثيرًا، سنعرف من خلال من الصحبة ومن أي الأقسام هم ؟

****

وفي اليوم التالي ذهبت باكرًا إلى المزرعة كان سليم سيذهب معي لولا أنه سيحضر سينمارًا هامًا في قسمة.

ولكني كنت علىٰ اتصال به.

وفي المساء جلسنا نتناقش في الأدلة.

-سليم، انظر! التقطت تلك الصور في الأرض الخاصة بقسم أمراض النبات، إنها لنفس النبتة وبعض النباتات الأخرى، والمشكلة الأكبر أنها مزروعة في مكان نأي لا يذهب إليه إلا القليل وتصل إليه المياه والشمس، لا أعتقد بأن أحدًا يذهب إليه سوىٰ المتورط من ذلك القسم.

-نعم، ذلك القسم لا يحتاج للمزرعة كثيرًا في دراسته، فمعظم الدراسة تكون في المعمل.

هل رأيتها في مناطق أخرى؟

-رأيتها في المنطقة الخاصة بقسم البساتين أيضًا.

-عرفنا الآن وجهتنا، ولدينا ثلاثة أقسام متورطة يرأسها دكتور مايكل..

-هل يمكنني أن أخبر صديقتي دينا عن الأمر أخاها ضابطًا وبالتأكيد ستفيدنا.

-هل تثقي بها؟ تعلمين أننا لو أخبرنا أحدًا بذلك لربما تنتقل الأخبار

وتختفي الأدلة.

-بالتأكيد أثق بها، طمئن قلبك لن تضرنا، بالعكس ستفيدنا كثيرًا.

سأخبرها غدًا.

رويت كل ما عرفته عن تلك القضية لصديقتي دينا التي سارعت بإخبار أخيها وتوجهت معي للمزرعة ورأت النباتات بعينها هى الأخرى.

-أسفة على إزعاجي لك، ولكن الأمر هام. قولت لسيادة الضابط.

-لا تقولي ذلك يا دكتورة منى فأنتِ مثل دينا تمامًا.

-أشكرك، أتمنى أن تكون دينا قد أخبرتك بكل ما يشغل تفكيرنا

-نعم، ولكني خائف من أمرًا واحد.

ما هو؟

-أن تكون النبتة للأبحاث حقًا، ولا يستدعي ذلك وجودي.

-لا، لقد وجدتها بمناطق أخرى انتظر سأوريك لقد صورتها جميعًا.

وحينما رأى الصور أخبرني بأن أتوجه بتقديم شكوىٰ وحتى لا يذكر اسمي يمكنني تقديمها بأسم فاعل خير.

وحدث ذلك، وفي يوم السادس عشر من مارس توجهت قوة بقيادة الرائد أحمد نبيل إلىٰ مزرعة الكلية للقبض علىٰ المتورطين ومعاينة المكان ولكن كانت المفاجأة، لا يوجد أثر لهذه النباتات.

-ماذا ؟

-لقد كانت هنا...!

-انتظر سأنادي على ذلك العامل.

-إذا سمحت أين المحصول الذي كان مزروعًا هنا؟

-تقصد ذلك المحصول الذي وجدنا فيه بعض الحشرات والأمراض الضارة؟ لقد تخلصنا منه حتي لا يضر باقي نباتات المزرعة.

-ماذا؟ وأين هو الآن؟

-لا أعلم، لكني أعتقد أنه تم حرقة، فكل النباتات الضارة يتم التخلص منها هكذا.

ثم تركنا وانصرف...

يبدو أن أحدهم علم خطتنا وجاء قبلنا وأنقذ نفسه!

-ولكني أفكر في أمر أخر، فربما المزرعة هنا تم التخلص مما فيها ماذا إن كانت المزرعة الأخرى التي تخص الكلية مزروعة كذلك؟

-هل للكلية مزرعة أخرى؟

-نعم لقد تم شرائها وهىٰ الآن مزروعة بنباتات البلح وبعض النباتات الطبية وكذلك يوجد بها منحل لعسل النحل الخالص.

-تقصدي تلك التي تفصلنا عنها ساعتين.

-تمامًا

-لنبحث فيها فربما تكون قد زرعت بها هذه النباتات بشكل أكبر خصيصًا إذا كانت في مكان بعيد وفي الصحراء.

-أتمنى ذلك.

****

توجهنا سويًا إلىٰ تلك المزرعة أحضر أحمد بعضًا من القوة لتساعده وبالفعل تم العثور على أرض مساحتها فدانين وبعض القراريط مزروعة بنباتات مخدرة، وتم الاتصال بعناصر الشرطة والتحفظ على تلك الأرض.

ثم تبين الأمر وتم القبض على عميد الكلية وثلاثة من الدكاترة حاصلين على رتبة الأستاذية منهم الدكتور مايكل ورئيس قسم أمراض النبات وكذلك دكتور من قسم البساتين ودكتور من قسم المحاصيل. كانت خطتهم من ذلك استخدام تلك الأرض في زراعة المخدرات وبيعها، علمنا أن الدكتور من قسم البساتين لم يكن يود ذلك ولكنه عرف خطتهم وهددهم بفضح أمرهم ولكنهم وعدوه بأن يتم تولية عميد الكلية السنة القادمة وأن ترشيحهم له سيضمن له الوظيفة فوافق على ذلك الفعل.

خسر وظيفته وتم تحويله للتأديب.

ولم ينجح أحدهم من الفرار من تلك الحادثة.

حاولنا وبذلنا قصاري جهدنا ليكون كل مكان نذهب إليه ملتزمًا بقواعده وشروطه، لا مكان للواسطة ولا المحسوبية. بل نُعيد الحق لصاحبه.

تلك هىٰ خطة حياتنا.

****

وبعد ثلاث سنوات

-منى!! هل كل شيء على ما يرام؟

-أجل، ولكني غير مطمئنة لذهابنا

-لا تخافي سنعرف الأمر ونحله ونعود إلىٰ بيتنا سالمين.

-ولكني خائفة علىٰ فريدة!!

-لا تخافي يمكننا أن نتركها مع والدتك وهناك في المنزل من سيعتني بها على أية حال هو يوم وليلة فقط!!

-أنت متأكد أنك تود الذهاب؟

-أجل، ولما لا؟! لا أؤمن بتلك الخرافات أبدًا، ولو لم يكن في الأمر خلاف لما ذهبت،يمكنك البقاء وأذهب أنا وسأعود صباحًا!

-لا، لن أكون مطمئنة إذا ذهبت وحدك.

-حسنا لنذهب صباحًا ونعود بأسرع مما يمكن.

وفي الصباح أعددت حقيبة صغيرة تلائم رحلة لمدة يوم وليلة نذهب لبيت سليم القديم حيث جاءت الشكاوي بأنه كل من يقترب من أمام المنزل يلقي حدفه

قرر سليم أن يثبت لهم أن هذا كله خرافة ولا وجود للسحر والشعوذة، فنزلنا إلىٰ قرية تدعي برنبال كان ذلك الاسم يقلقني ويذكرني بما كان يحدث معي سابقًا ولكني قررت تجاهل ذلك الأمر فقد أخبرني الشيخ أخر مرة أن الماضي قد رحل ولا بد ألا أفكر فيه أبدًا.

كما أن ذلك كله ما هو إلا مصادفة ليس إلا اسم عادي.

فتح سليم باب السيارة ونزلنا سويًا وأمام باب هذا البيت الكبير الذي بدا أنه مهجور دخل سليم أولًا..ثم بعدها جاء لينادني لأدخل معه ولكن شيخًا كبيرًا قد استوقفني..

-ارحلوا من ذلك المنزل!!

-لما تقول ذلك؟! جئنا لنثبت أن كل ما تسمعوه خاطئ

-المكان به لعنة ستحل علىٰ كل من يقترب منه لا بد اولًا أن تستخرجوا كنزكم ليعم السلام وتفك اللعنة.

-أنت مجنون؟! نحن الآن في عصر السرعة والحقيقة وأنت تتحدث عن الخرافات والأساطير!!

-لست مجنونًا، ولكني نبهتكم ستحل عليكم اللعنة إن بقيتم هنا.

ثم تركنا وذهب نظرت لسليم وبدا علىٰ وجهي الخوف، ولكنه أحاطني بذراعه قائلًا:

لن يحدث لنا شيء.

ودخلنا المنزل وبدأنا رحلة التنظيف، كنا قد طلبنا المساعدة من بعض الناس ولكن الجميع رفض فعملنا بمفردنا، نظفنا غرفة لنقيم فيها ليلتنا ونرحل، ولكن قبيل العشاء تحديدًا كانت هناك عربة لأحد البائعين أظنه كان يبيع الخضروات وتعب من السير فوقف يستريح أمام منزلنا، كنت أنظر إليه من شرفة غرفتنا، حينها كان سليم قد غط في نومٍ عميق، هززته

ليستيقظ فلم يصحو أعرف أن نومه ثقيلًا فقررت أن أنزل إليه لأعطيه بعض الماء.. القرىٰ تنام باكرًا لم يكن هناك أحدًا في الشارع سوى بعض الناس والجميع ذاهبًا قاصدًا بيته.

-يا عم تود بعض الماء؟.

-لو تكرمتي عليَّ بذلك.

أدخلته إلىٰ ساحة المنزل وكان قد أوقف العربة خارجًا صنعت له بعض القهوة

-تتحدثين وكأنك غير قروية، هل تسكنين المدن؟!

-نعم لست من هذه القرية ولكن هذا البيت لزوجي هو الآن نائم، وجئنا إلى هنا لنثبت أن كل ما يحدث فقط خرافات.

-ماذا يحدث؟!

-ألم تسمع عن تلك الشائعات؟!

-أعذريني يا ابنتي فلست من هذه القرية ولكني أسمع عن بيت مهجور لا يسكنه أحد، حتى إنني سمعت أن كل حيوان يقف هناك يموت فورًا.

-ولكنك الآن في البيت الذي تسمع عنه، هل حدث لك مكروه؟!

-ماذا؟!

حينها ظهر عليه الذعر واسقط الفنجان على الأرض وخرج مسرعًا، فذهبت ورائه..يا عم، يا عم،، انتظر، كل ما يحدث كاذب، يا عم يا عم ولكنه كان أسرع مني وحينما ذهب لحصانه ليفكه وجده ملقى على

الأرض ومات فصرخ..

-أنقذوني، أنقذوني!!

فدخلت مسرعة لسليم، ليخرج ويرى ماذا حدث؟

-خرج سليم وحاول أن يشرح لهم أن الأعمار بيد الله ولكنهم جميعًا انطلقوا خائفين..

-سليم!! أرجوك لا أحد يصدقنا، وأنا أيضًا خائفة!!أرجوك لنعد لمنزلنا ونترك هذا المنزل الآن.

-منى، تذكري أننا جئنا لنثبت العكس.

-ولكني خائفة!!

-لا تخافي وأنتِ معي، كل ما حدث مصادفة، ما أدراك ألا يكون الحصان مريضًا سابقًا؟! هيا يا عزيزتي لا تصدقي الخرافات، وأخذني معه ودخلنا المنزل.

سليم لا أشعر بالأمان أرجوك.

-منى!! أنتِ مثقفة وتعلمين أن تلك خرافات.

-لا أعلم ربما خيالات الماضي تقلقني، كما أنني أفكر في أمر الكنز الذي قال عنه الرجل.

-هههههه منى أتصدقي أمر الكنز؟ قالها بمرح

-تضحك منى، أظن بأنني قد أخبرتك عن أمر الآثار التي كانت في منزلنا.

-لا لا عزيزتي، لا أضحك منك، ولكني لا أعتقد بأن هذه الخرافات لها

علاقة بالآثار.

-لا أعلم ولكني أؤكد لك أني خائفة

-كيف تخافين وأنا معك؟ ثم ألن تكتبي مذكراتك مثل كل ليلة؟

-ولكني نسيت دفتري في البيت.

-وأنا علمت ذلك فأحضرته لك، لكي تعلمي إنك إن نسيت شيئًا فيمكنك أن تستعيني بذاكرتي.

ثم ضحكنا سويًا وروحت أكتب ما حدث في رحلتنا، وذهبت في نوم عميق أثر التعب الذي حل علينا من السفر.

****

استيقظ الجميع...وأتممت الشمس شروقها،،

الجميع بخير عدا منى وسليم فلقد توفاهم الله وظلت قصة وفاتهم لغزًا لا يعلمه أحد، وبعد مرور إحدى وعشرين سنة وإقفال ذلك البيت. وصلت فتاة جميلة توجه المعدات هنا وهناك يرافقها بعضًا من رجال الشرطة وعلماء الآثار، تم استخراج تلك المقبرة الأثرية التي لا يعلم أحدًا عنها شيء، أهىٰ تلك المقبرة التي كانت في بيت منى سابقًا أم هىٰ مقبرة أخرى وكنز جديد، على كل حال ربحت الدولة كنزًا ثمينًا أُضيف لمعالمها...

****

ضمتني عمتي نادين في تلك اللحظة قائلة..

فريدة!! هيا لتتناول الغداء حبيبتي.

-هنا دونت أخر سطر من ذلك الحدث العظيم وتحولت برنبال العظيمة من بلد السحر والآثار إلى بلد الحب والجمال..

وفي المساء..

فتحت مذكرات أبي لأجده كاتبًا..

لا أعلم لما أرى تلك الأحلام؟! وكيف أسمع تلك الأصوات؟!

وبما أن الجميع لا يؤمن بتلك الشائعات فلن أخبر بها أحدًا، ستبقى برنبال سرًا في قلبي!!

فوقفت أتساءل:

هل كان أبي يحلم حقًا ببرنبال؟! وهل رأى تلك الأحلام التي كانت تراها أمي؟!

وقررت أن أبحث عن باقي مذكراته لأعلم كل ما يخفي عليّ.

قبلت صورتهم وفتحت مذكرتي لأكتب ما حدث في يومي فغلبني النوم ورأيت فتاة جميلة تشبه أمي وينادي عليها برنبال ثم نزلت فتاة بسرعة إلىٰ جوراها فرحب الجميع بوريثة برنبال كانت هذه الفتاه أنا لا محالة لتبدأ رحلتي أنا الأخرى..!

تمت بحمد الله..